**الملخص :**

هذا بحث موسوم بالمشروعات المائية في مصر عصر سلاطين المماليك وأثارها الاقتصادية، يتناول فيه الباحث جانبا من جوانب الحضارة في عصر سلاطين المماليك، ممثلا في الجانب الاقتصادي، والحديث عن المشروعات المائية، والتي تعد عصب الحياة الاقتصادية في مصر المملوكية، حيث يتطرق الباحث لعناية السلاطين بالمشروعات المائية وعلى رأسها مقياس النيل، والذى يعد أحد أهم تلك المشروعات، باعتبار أن توزيع الماء، وحفظه يقوم على معرفة قدر الزيادة والنقص في كل سنه، مما جعل مؤرخا كالمقريزي وابن تغري بردي، يتحدثان عن زيادة منسوب النيل ونقصانه في كل عام.

كما تطرق الباحث لبعض المشروعات الأخرى؛ كالجسور والسدود والقناطر، كقناطر السباع وقنطرة السد، وقناطر بحر أبي المنجا، وغيرها من المشروعات.

كما تناول البحث كذلك سور مجري العيون، وعملية نقل الماء من النيل ثم الخليج المصري، إلى قلعة الجبل، بواسطة قناطر وسواق مائية، تحمل هذا الماء من المصدر وتصل به عبر أنابيب تارة ومجاري مائية مقنطرة تارة أخرى في حيلة هندسية بديعة نحو قلعة الجبل.

كذلك تطرق الباحث لبعض المهن والوظائف المتعلقة بتلك المشروعات، كشاد العمائر ومشد الدواوين، وكاشف الجسور، وكشاف الأقاليم، والولاة، وغيرها من المهن التي ارتبطت بتلك المشروعات.

كما تناول البحث، دراسة احصائية في بعض صفحات البحث، وكذا الأثر الاقتصادي والمردود من بناء وتشييد تلك المشروعات والمنشآت المائية .

هذا وقد أرفق الباحث بعض الصور والخرائط الدالة على موضوع البحث والدراسة، لربط المكتوب بالمعاينة والمشاهدة.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الكلمات المفتاحية: مشروعات ، ماء ، سور مجرى العيون ، الناصر محمد بن قلاوون ، المماليك، قناطر السباع ، نهر النيل، الخليج المصري.

## Abstract:

This Is A Research Tagged With Water Projects In Egypt During The Era Of The Mamluk Sultans And Their Economic Effects. Water، Especially The Nilometer، Which Is One Of The Most Important Of These Projects، Given That Water Distribution And Conservation Is Based On Knowing The Amount Of Increase And Decrease In Each Year، Which Made Historians Such As Al، Maqrizi And Ibn Taghri Bardi، Talk About The Increase And Decrease In The Level Of The Nile Each Year.

The Researcher Also Touched On Some Other Projects. Such As Bridges، Dams، and Barrages، Such As the Sebaa Barrage، the Dam Barrage، and the Abu El Manga Barrage، and Other Projects.

The Research Also Dealt With The Wall Of The El، Ayoun Stream، And The Process Of Transferring Water From The Nile، Then The Egyptian Gulf، To The Mountain Castle، By Means Of Barrages And Water Drivers، Carrying This Water From The Source And Reaching It Through Pipes Sometimes And Arched Waterways At Other Times In A Wonderful Engineering Trick Towards The Castle Of The Mountain.

The Researcher Also Touched On Some Of The Professions And Jobs Related To These Projects، Such As Building Structures، Bureaus Corsets، Bridges Scouts، Provinces Scouts، Governors، And Other Professions Associated With These Projects.

The Research Also Dealt With A Statistical Study In Some Of The Research Pages، As Well As The Economic Impact And The Return On The Construction And Construction Of These Projects And Water Facilities.

The Researcher Has Attached Some Pictures And Maps Indicating The Subject Of Research And Study، To Link The Written With The Inspection And Viewing. The God Of The Intent Behind It Is The Intention Of Giving Way.

**Keywords**: Projects ، Water ، The Wall Of The River Of Al، Ayoun ، Al، Nasir Muhammad Bin Qalawun ، The Mamluks ، Seba' Barrages ، The Nile River ، The Egyptian Gulf.

**المقدمة**

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ وبعد؛

الماء أصل كل حي، وعنوان الحياة، قال سبحانه :

﴿وجَعَلْنَا مِنَ الماء كُلَّ شيء حي أفلا يُؤْمِنُونَ ﴾ ( الأنبياء آية ٣٠ ) فالماء سر الحياة وأصل العناصر، وهو عنوان الحياة، الم تر إلى قول الله تعالى ﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ (النحل ٦٥) .

ومن هذا المنطلق وقع اختياري لهذا الموضوع وعنوانه: ( المشروعات المائية في مصر عصر سلاطين المماليك وأثرها الاقتصادي) ولعل الذى دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب على رأسها:

١. أن الماء هو أحد أهم عوامل قيام الحياة، وبما أن الاقتصاد المصري عصر سلاطين المماليك؛ يقوم في الأساس على الزراعة، فكان لا بد من الاهتمام بالمشروعات المائية من جسور وسدود وقناطر وخلافه؛ لضمان الحصول على أكبر عائد ممكن من أرض مصر الخصبة.

٢- أن العصر المملوكي، عصر سخي بمعطياته، التي لم تتوقف عند حد المنشآت والمشروعات، بل تعدتها لجميع مناحي الحياة، فهو عصر الأدب والثقافة، وازدهار العلوم والفنون، وهو عصر العظمة والسحر في العمارة والزخارف.

٣- أن المشروعات المائية احد اهم الجوانب الحضارية للعمارة المملوكية، وأحد أهم الموضوعات الرئيسة لدارس الحضارة المصرية في مصر الإسلامية.

والله أسأل ان يجعل هذا العمل متقبلا خالصا لوجهه الكريم .

**التمهيد .**

من المنن التي أمتن الله بها علي مصر وأهلها أن وهبها نهر النيل أكبر شريان للحياة في العالم أجمع، أحد أنهار الجنة، يقول النبي صلى الله عليه وسلم. " سيحان وجيحان والنيل والفرات كلٌ من أنهار الجنة"[١] وقد أفاض الشعراء والأدباء في وصف النيل والتغني به.

من ذلك ما قاله ابن نباته: " وافت أصابع نيلنا... وطمت فجميلة.لأعادي فأكمدت الأعادي

وأتت بكل جميلة... ما ذي أصابعُ ذي أياد " [٢]

وليس هناك أجمل من قول شوقي في وصف النيل:

النِّيلُ العَذْبُ هو الكوْثرْ والجنة شاطئه الأخضرْ

ريَّانُ الصَّفحة والمنظرْ ما أبهى الخلدَ وما أنضرْ !

البحرُ الفَيَّاضُ، القُدسُ الساقي الناسَ وما غرسوا

وهو المِنْوالُ لما لبِسوا والمُنْعِمُ بالقطنِ الأَنوَر

جعلَ الإحسانَ له شرعا لم يُخلِ الواديَ من مَرْعى [٣]

قال عنه المقدسي [٤] من أجمل أنهار الدنيا،[٥] ونقل المقريزي عن المسعودي أنه من أشرف الأنهار، وأنه سيد على من سواه منها، وليس في أنهار الدنيا نهرا يقال له : بحراً سوى نهر النيل لكبره واستبحاره. [٦] والحديث عن جغرافية نهر النيل أمر يطول، وقد تحدث فيه السابقون واللاحقون. [٧]

ولكن ما يعني البحث هو الحديث عن فيضان النيل ومسألة ضبط الفيضان وكيفية الاستفادة من ماء النهر، وتقسيم الأرض تبعا لهذا الفيضان.

يقول المقريزي : إنّ الأراضي التي هي من طين أبليز [٨] لا تكون إلّا من أرض ماء النيل، فإنّ أرض مصر تربة رملة سبخة، وما فيها من الطين طرح يعلوها عند زيادة ماء النيل، مما يحمله من البلاد

---

[١] أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ/ ٨٥١م) : مسند الإمام أحمد، تحقيق – أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م، جـ ٨ / ٥ . رقم الحديث ٧٨٧١.

[٢] جمال الدين بن نباتة المصري الفاروقي (المتوفى: ٧٦٨ هـ/ ١٣٧٦م) : الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٦٣.

[٣] ديوان أحمد شوقي. مؤسسة الخشاب،

[٤] محمد بن أحمد المقدسي البشاري ت ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م ،

[٥] أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١/١٩٩١.م ص١٨٩.

[٦] المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار (الخطط المقريزية)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ ، ١/٦٤.

[٧] للمزيد عن نهر النيل راجع ناصر خسرو: أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي (المتوفى: ٤٨١هـ/١٠٨٨م): سفر نامه، المحقق: د. يحيى الخشاب ، الناشر: دار الكتاب الجديد – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٣م، ٨٠. المقريزي الخطط، ١/١٠١. محمد جمال الدين الفندي، النيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م. اميل لودفيغ: النيل حياة نهر، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي.

[٨] لفظ غير عربي، عرفه الزبيدي، بأنه الطين الذى أعقبه النيل بعد ذهابه .وما يعرف بين عوام مصر وغيرهم بالطمي . الزبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ/١٧٩١م): تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، ١٥/٣٦.

الجنوبية من مسيل الأودية، فلذلك يكون لون الماء عند الزيادة متغيرا، فإذا مكث على الأرض قعد ما كان في الماء من الطين على الأرض، فسماه أهل مصر إبليز، وعليه تزرع الغلال وغيرها، وما لا يشمله ماء النيل من الأرض لا يوجد فيه هذا الطين البتة..."[١]

وقد ارتبطت التربة وطرق الزراعة؛ بل والحياة كلها في مصر بزيادة النيل ونقصانه، وعليه تحدد الخراج والضرائب، ومن أجل ضبط تلك المسألة اهتم الحكام قديما وحديثا بضبط شئون النهر، ومعرفة نسبة الزيادة والنقص، وتحديد نقطة بعينها يتحدد من خلالها نقص النيل من وفائه من زيادته، ومن أجل ضبط تلك المسألة تم عمل ما يعرف بمقياس النيل .

**مقياس النيـــــل .**

أحد أهم المشروعات المائية الضاربة في جذور التاريخ المصري، منذ أقدم العصور، ولعلها من أهم الدلالات والمؤشرات على عظمة وعبقرية الشخصية المصرية منذ أقدم عصورها.

مقاييس النيل في التاريخ الإسلامي من الفتح وحتى العصر المملوكي.

كما نوهت فإن مسألة ضبط مياه النيل من الأمور الملحة التي شغلت بال وضمير كل حكام مصر منذ أقدم عصورها ، ولذا نجد أن هناك أكثر من مقياس في اكثر من منطقة علي ضفاف نهر النيل.

فقد بوب ابن ظهيرة [٢] باباً كاملاً وعنونه بعنوان ‹ذكر مقاييس النيل›

ذكر فيه مما ذكر أن أول من قاس هو يوسف ﷺ بنى مقياساً بمنف،[٣]،وهو أول مقياس وضع، وظل العمل بهذا المقياس حتى تم استبداله بمقياس أخر عرف بمقياس دلوكة، في أخيم [٤]

---

[١] المقريزي: الخطط، ٢٣٧/٣.

[٢] إبراهيم بن علي بن محمد بن ظهيرة القرشي المخزومي، أبو إسحاق، برهان الدين: قاضي مكة. ولي منصب القضاء بها نحو ثلاثين سنة. ومولده ووفاته فيها. كان شافعيا، انتهت إليه رياسة العلم في الحجاز. طاف مصر وغيرها من بلاد الشرق صاحب التاريخ المشهور. ت ( ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م) للمزيد خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ/١٩٥٠م): الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م. جـ٥٢/١.

[٣] إحدى عواصم مصر القديمة، ذكرها العديد من الجغرافيين، منهم اليعقوبي الذي قال عنها: مدينة قديمة أصبحت خرابا، كانت مسكناً لفرعون، يعني بذلك عاصمة لدولته، وتقع أطلال تلك المدينة على شاطئ النيل، جنوب القاهرة بجوار قرية ميت رهينة بالبرشين بالجيزة . أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (المتوفى: بعد ٢٩٢هـ/٩٠٥م): البلدان، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ/ صـ ١٦٩. احمد محمد البربري: عواصم مصر القديمة، كلية الآداب جامعة عين شمس. الاسكندرية، ٢٠٠٨م صـ ١١

[٤] وصفها ناصر خسرو بقوله:" ومن قوص بلغت مدينة تسمى أخميم وهي مدينة واسعة عامرة رجالها أشداء لها سور حصين وبها نخل وبساتين كثيرة"، وقال عنها الحميري: "مدينة في البلاد المصرية في الجانب الشرقي من النيل لها ساحل، وهي مدينة كبيرة قديمة فيها أسواق وحمامات ومساجد كثيرة وفيها من البرابي وعجائب المباني والآثار ما يعجز الوصف عنه وهي بصعيد مصر". من أقدم المدن المصرية، ذكر لها جوتييه في قاموسه عدة أسماء منها الأسماء المقدسة وهي: Khen Min أو Khenme Mik أو Khenti Min أو per Min او Min ، وكلها تنسب إلى الإله (من) وهو إله الفلاحة عندهم. واسمها المدني Apou والرومي أخميم، بأنابوليس نسبة إلى الإله Pan وهو إله الفلاحة عند الرومان، ومن اسم Khen Min المصري تكونت أسماء رومية أخرى=

ومقياس أنصنا[١]، وبنيت مقاييس أخرى في زمن الدولة البيزنطية منها ما كان عند قصر الشمع، ثم بنى عمرو بن العاص (٤٣هـ/ ٦٦٣م) مقياسا آخر بأسوان، ثم بنى معاوية (٤١-٦٠ هـ / ٦٦١-٦٨٠م) مقياساً بأنسنا، ظل العمل به حتي قام عمر بن عبد العزيز ﷺ (٩٩-١٠١ هـ / ٧١٧-٧١٩م) بعمل مقياساً آخر بحلوان، ثم وضع أسامة بن زيد [٢] في عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩ هـ / ٧١٥-٧١٧م) مقياساً أخر، وفي الدولة الإخشيدي تم بناء مقياساً أخر، ثم بنى المتوكل (٢٣٢- ٢٤٧هـ /٨٤٦-٨٦١م) مقياساً جديداً، في سنة ٢٤٧هـ / ٨٦١م، عرف بالمقياس الكبير أو الجديد.

وصدرت التعليمات أن لا يؤل أمر المقياس إلا إلي المسلمين، وكتب إلى القاضي وقتها وكان يعرف ببكار بن قتيبة [٣]واختار لهذا العمل رجل يعرف بالمعلم عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي الرداد [٤] وعرف

---

=وهي: Khemmou Khenim،واسمها القبطي Chemin أو Khmin ومنه اشتق اسمها العربي أخميم. وذكرها أميلينو في جغرافيته فقال: إنها وردت في كتب القبط باسم Schmin ,Schmim, Eschmi وقد حرفت الشين إلى خاء، . سفر نامه: صـ١١٦، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (المتوفى: ٩٠٠هـ): الروض المعطار في خبر الأقطار، إحسان عباس، الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – طبع على مطابع دار السراج، الطبعة: الثانية، ١٩٨٠ م، صـ ١٥. اميلينو: جغرافية مصر في العصر القبطي، ترجمة ميخائيل اسكندر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١٢م، صـ ٢٢. محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، جـ٤/ ٨٩.

[١] إحدى عواصم مصر القديمة، ذكرها البكري وقال: مدينة السحرة وأكثرها اليوم خراب، وأشار إليها اميلينو، فقال عاصمة طيبة، وكانت عاصمة لولاة مصر في عصر الرومان، وذكرها محمد رمزي في قاموسه أنها ناحية قديمة خربة، تتبع اليوم بلدة الشيخ عبادة بمركز ملوي التابع لمديرية أسيوط، وتتبع الان مركز ملوي بالمنيا بعد انفصال ملوي عن اسيوط. أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ): المسالك والممالك، الناشر: دار الغرب الإسلامي، عام النشر: ١٩٩٢ م، جـ٢/٦١٧. اميلينو: جغرافية مصر، صـ٣٠. محمد رمزي: القاموس الجغرافي، جـ٥/٦٣.

[٢] أسامة بن زيد التوخي، كان عامل الخراج على مصر، وليه في زمن الوليد (٨٦-٩٦هـ / ٧٠٥-٧١٥م) وزمن سليمان ابنا عبد الملك بن مروان(٩٦-٩٩هـ/ ٧١٥-٧١٧م)، اشتهر بالظلم والتعسف. للمزيد أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ/١٠٧١م): المتفق والمفترق، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد صادق آيدن الحامدي، الناشر: دار القادري للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م ، ١٥٣/١

[٣] أحد القضاة والولاة الذين قدموا إلى مصر من مشرق العالم الإسلامي، ولي بكار بن قتيبة مصر من قبل المتوكل، فدخل البلد يوم الجمعة لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة ست وأربعين ومائتين(٢٤٦هـ/٨٦٠م)، وكان عفيفا عن أموال الناس محمودا في ولايته = = وكان يذهب إلى قول أبي حنيفة، وتعلم الشروط بالبصرة من هلال بن يحيى الرأي، كان أحمد بن طولون يعظمه ويرفع قدره، حتى وقع بينهما خلاف يطول شرحه، ومات بعد وفاة ابن طولون بنحو اربعين يوما في سنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٣م. للمزيد أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المصري (المتوفى: بعد ٣٥٥هـ): كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، صـ ٣٤١.

[٤] أبو الرداد عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن الرداد المؤذن البصري ، صاحب المقياس بمصر؛ كان رجلاً صالحاً وتولى مقياس النيل الجديد بجزيرة مصر، وجمع إليه جميع النظر في أمره وما يتعلق به في سنة ست وأربعين ومائتين (٢٤٦هـ/ ٨٦٠م) ، استمرت الولاية في ولده إلى الآن. وتوفي في سنة تسع وسبعين ومائتين، وقيل سنة ست وستين ومائتين، (٢٦٦هـ/٨٧٩م) والله أعلم. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م): فيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر بيروت، ١١٢/٣.

منصبه من وقتها بمتولي المقياس وظل هذا المقياس محط اهتمام الخلفاء والحكام لفترات طويلة، حتى أن ابن ظهيرة ذكر أن العمل كان به حتى عصره، في عصر المماليك الجراكسة [١]

وبناء علي ما تقدم يتضح أن النيل لم يكن له مقياس واحد، إنما عدة مقاييس أهمها مقياس المتوكل، المعروف بالكبير أو المقياس الجديد.

ومن نافلة القول: التحليق حول نقطتين.

١- المقدار الذى يتحدد به وفاء النيل

٢- شكل المقياس وماهيته.

سبق وأشرت إلى أن مسألة تنظيم ماء النهر من المسائل التي شغلت الحكام، على اعتبار أن نهر النيل ، أحد أهم الدعامات الاقتصادية، على اعتبار أن مصر بلد زراعية في الأساس، تعتمد على الحاصلات الزراعية، التي تزرع على ضفاف النهر في دلتا مصر وصعيدها، وبحريها، أضافة إلى أن النيل كان من أهم الطرق التجارية في مصر الإسلامية، وعليه فإن تحديد عملية الزيادة والنقص من المسائل الضرورية والمهمة في معرفة الخراج والضرائب وغيرها من الأمور.

من أهم مشتملات المقياس كما سنرى بعض قليل عمود رخامي، مثمن كان الغرض منه تحديد مقدار الزيادة والنقص، بالذراع حيث إن: الماء إذا بلغ ستة عشر ذراعاً عرف بالوفاء، ورغبة من المسؤولين عن قياس النيل في نسبة كل ما هو طيب إلى الحاكم فأسموه بماء السلطان [٢]

وقد وصف لنا القلقشندي، مسألة القياس وماهيتها وصفاً دقيقاً حدد فيه الميعاد، والطريقة.

حيث قال: في السادس والعشرين من بؤونة أي ما يوافق الثالث من شهر يوليو تقريبا، يؤخذ قاع البحر، ويقاس عليه قاعدة المقياس التي تبنى عليها الزيادة، **وفي السابع والعشرين ينادى عليه بالزيادة، ويحسب كل ذراع ثمانية وعشرين أصبعا إلى أن يكمل اثني عشر ذراعا، فيحسب كل ذراع أربعا وعشرين أصبعا، فإذا وفّى ستة عشر ذراعا، وهو المعبر عنه بماء السلطان، كسر خليج القاهرة، وهو يوم مشهود، وموسم معدود، ليس له نظير في الدنيا؛ وفيه تكتب البشارات بوفاء النيل إلى سائر أقطار المملكة، وتسير بها البرد( البريد)، ويكون وفاؤه في الغالب في مسرى من شهور القبط، وفيها جلّ زيادته.**[٣]

---

[١] ابن ظهيرة: محمد (جمال الدين) بن محمد (نور الدين) ابن أبي بكر بن علي، ت ( ٨٨٨ هـ /١٤٧٣م): الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق : مصطفى السقا، كامل المهندس، مطبعة دار الكتب، ١٩٦٩م، صـ ١٧٨.

[٢] الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (المتوفى: ٧٦٤هـ/١٣٦٣م): الوافي بالوفيات، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م،جـ ١٧/ ١٤٧.

[٣] القلقشندي: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، جـ٣/ ٣٢٠.

وعليه فإن مقدار الوفاء كان ستة عشر ذراعاً، زاد في زمن المقريزي إلى ثمانية عشرة ذراعاً، ولعل السبب في ذلك ارتفاع منسوب الأرض نظراً للطمي والتربة الرسوبية التي تكونت لتراكم الطمي مع فيضان النيل[١] الأمر الثاني هو اتساع رقعة الأرض المزروعة.

وأنا هنا اختلف مع بعض الباحثين [٢] حيث ذكر أن فساد الجهاز والإداري للدولة عصر سلاطين المماليك أدى لارتفاع هذا المنسوب، وأنا اختلف هنا من وجهتين :

الأولى : أن اصدار الأحكام بشكل عام، من الأخطاء التاريخية الفادحة، فالمؤرخ كالقاضي، لا يستطيع اصدار الأحكام إلا بعد التثبت، والتيقن والأخذ بالقرائن والأدلة والبراهين، وفي النهاية فإن الأحكام لاتكن قطعية بل ظنية، فكما هو معلوم أن الحقائق التاريخية، حقائق ظنية غير ثبوتيه.

الأمر الثاني: أن العصر المملوكي لا يمكن الحكم عليه كوحدة واحدة، بل لابد من الحكم علي كل عصر على حده، فمثلا عصر الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦/ ١٢٦٠- ١٢٧٧م) وعصر المنصور (٦٧٨-٦٨٩هـ / ١٢٧٩- ١٢٩٠م) وعصر الناصر محمد (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م ) يختلف عن غيرها من العصور كما أن فترة حكم المماليك البحرية بصفة عامة تختلف عن فترة حكم الجراكسة، وهناك ظروف أخرى لا يتسع المجال للحديث عنها.

نأتي الآن لأمر أخر وهو ماهية هذا المقياس .

يقع مقياس النيل الآن في جنوب جزيرة الروضة [٣]، وهو عبارة عن عمود رخامي مثمن الشكل، يتوسط بئر مربع من الحجارة المشذبة، شيد هذا البئر من ثلاثة مستويات أو طبقات، تأخذ شكل اسطواني أو دائري، يعلوها طبقتان مربعتان.

---

[١] قاسم عبده قاسم : النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، ط ١٩٧٨م، صـ ١٨ .

[٢] سامي نوار: المنشآت المائية.

[٣] في شهر شعبان ٥٦٦هـ/١١٧٠م اشترى الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب جزيرة الروضة (٥٦٧ – ٦٤٨هـ/١١٧١ –١٢٥٠م) وظلت في ملكه إلى أن أمره السلطان صلاح الدين الأيوبي بالقدوم إلى الشام فلما تحقق للمظفر أنه لم تكتب له العودة إلى مصر أوقف الجزيرة بكاملها على مدرسته المعروفة بالمدرسة التقوية التي كانت تعرف قديما بمنازل العز، وعلى مدرسة أخرى بالفيوم ثم سار إلى مملكة حماه حيث تولى الحكم بها، ظلت الجزيرة متنزهاً كبيراً في زمن الدولة الأيوبية، كما ظلت وقفاً على المدرسة التقوية بمصر حتى ولي الحكم الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧- ٦٤٧ هـ/ ١٢٣٩- ١٢٤٩ م) فأستأجر الجزيرة من القاضي المعروف بابن السكري مدرس المدرسة التقوية ومباشر أوقافها وذلك لمدة ستين سنة، وأقام الملك الصالح بالجزء الجنوبي من الجزيرة بجوار المقياس قلعته التي عرفت باسم قلعة المقياس ؛ أو قلعة الروضة؛ أو قلعة الجزيرة أو القلعة الصالحية، أو قلعة جزيرة الفسطاط وقد بناها لتكون قصرا ومقرا للحكم وحصنا له ولمماليكه، الذين أكثر من شرائهم حتى ضاقت بهم القاهرة وصاروا يتعدون على الناس، وينهبون الأسواق فكثرت شكوى الناس منهم؛ فاضطر الملك الصالح لبناء القلعة لهم على بحر الروضة فسموا البحرية نسبة لذلك، وما لبثوا غير شهور قليلة من نهاية حكم الصالح إلا وقد أزالوا دولة الأيوبيين وكونوا دولتهم المملوكية، كما ذكر المؤرخون سببا آخر لبناء القلعة وهو حب الصالح للعمارة وإنشائه لعمارات عظيمة كان يشرف عليها بنفسه لذا فقد بنى هذه القلعة لتخلد اسمه في التاريخ. وكانت القلعة تقع في الجزء الجنوبي من جزيرة الروضة، وكان موقعها هذا موفقا=

يجري حول جدران البئر من الداخل درج يصل إلى القاع.

يتصل المقياس بالنيل بواسطة ثلاثة أنفاق يصب ماؤها في البئر من خلال ثلاث فتحات في الجانب الشرقي، حتى يظل الماء ساكنا في البئر، حيث أن حركة المياه في النيل من الجنوب إلى الشمال، وبالتالي لا يوجد اتجاه حركة للمياه في الناحية الشرقية والغربية.

يعلو هذه الفتحات عقود مدببة ترتكز على أعمدة مدمجة في الجدران، ذات تيجان وقواعد ناقوسيه.

يرتكز العمود الوسطي على قاعدة من الخشب الجميز لأنه الوحيد الذي لا يتأثر بالمياه وذلك لتثبيته من أسفل، ومثبت من أعلى بواسطة عارضة أو كمرة ، وعليه نقش بالكوفي لآية قرآنية.

النقوش والكتابات الأثرية في هذا المقياس

في الجانب الشمالي والشرقي كتابات أثرية بالخط الكوفي.

في الجانب الجنوبي والغربي نقوش ترجع إلى أيام أحمد بن طولون سنة ٢٥٩هـ عندما أصلحه وأنفق عليه ألف دينار، وأزال بعض الكتابات وقام بوضع اسمه عليها ولكنه ترك عليها التاريخ الأصلي.

أما جدران المقياس فتحمل ٤ لوحات، اثنتان منها مخطوطات للقرآن الكريم، ولوحة لرسم توضيحي أو خريطة، والأخيرة فهي صورة لبابين أحدهما للظاهر بيبرس والأخرى للسلطان الصالح نجم الدين أيوب.[١]

---

=من الناحية الاستراتيجية لكونها تقع بجزيرة يحيط بها نهر النيل من جميع النواحي مما جعلها في وضع أفضل من الناحية الدفاعية، وقد شرع في حفر أساسات القلعة في ٥ شعبان سنة ٦٣٨هـ /١٢٤٠م وابتدأ البناء يوم ١٦ من هذا الشهر، وفي العاشر من ذي القعدة بدأ الهدم في الدور والقصور والمساجد التي بموضعها، كما هدمت كنيسة اليعاقبة كانت بجوار المقياس وأدخلت أرضها في أرض القلعة، كما خرب الهودج والبستان المختار وذكر المؤرخون أنه كان بموضع القلعة أشجار ونخل وجميز فقطع منها نحو ألف نخلة مثمرة كان رطبها يهدى إلى ملوك مصر لحسن منظره وطيب طعمه وكذلك قطع أربعمائة جميزة، كما ذكروا أنه هدم ثلاثة وثلاثين مسجدا عمرها خلفاء مصر وسراة المصريين، وان كان يبدو على هذا العدد المبالغة إلا أنه يعبر عن مدى عمران الجزيرة آنذاك. وقد بقيت من القلعة الصالحية بقايا القاعات والعمائر التي قام بها الملك الصالح نجم الدين أيوب سجلتها الحملة الفرنسية منها قاعة رئيسية أبعادها ١٤.٦٠ ×١٢.٧٠ متر يتوسطها قبة كانت مقامة على أربعة أكتاف وحول القاعة أبنية مختلفة الأحجام أغلبها كان متخربا. وكذلك رأى الرحالة بوكوك الذي زار مصر في القرن الثامن عشر بقايا جدران من الطوب الأحمر ارتفاعها عشرة أقدام عبارة عن أبراج غير كاملة. . محمد الششتاوي، متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٩٩٩، ط١، ص ٦٦– ٧٠.

[١] أحمد عبد الرازق، العمارة الإسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي، دار الفكر العربي، ٢٠١٢م، صـ ٣٢.

مخطط للمقياس، نقلاً عن أحمد عبد الرزاق، مع صور من الداخل، يتضح فيها ما يلى :

١- مكان عبارة بناء مستطيل، يبدأ من أسفله بشكل اسطواني، من منتصف هذا الشكل تنبثق قاعدة القياس.مثمن كما هو مبين، عليه علامات تستخدم في القياس.

٢- علي جانبي العمود درج معد للصعود، يستخدمه المسئولين عن المقياس ويستخدم كذلك للتنظيف وأعمال الصيانة .

٣- يلاحظ وجود شبابيك ثلاثة مسدود، ومعقودة بعقود منكسرة.

٤- ينتهي العمود من الاعلى بكمره أو رابط خشبي، عليه كتابات وآيات قرآنية بالخط الكوفي

صور متعددة من الشبكة العنكبوتية تبين شكل المقياس من الداخل والقبة الخشبية المحمولة على مثلثات معكوسة، والكتابات الكوفية التي زينت المقياس من الداخل.

صور للقبة وكذا السلم الخارجي للمقياس ،منظر عام للمقياس من الخارج

**المبحث الأول: الجسور**

**الجسور أحد أهم المنشآت التي ارتبطت بالنيل وروافده**

الجسر في اللغة القنطرة أو المعبرة، والجَسر بالفتح العظيم من الإبل وغيرها[١] ما يعبر عليه مبنيًا كان كالقنطرة أو غير مبني. ويطلق على سفن يشد بعضها إلى بعض وتربط إلى أوتادٍ في الشط تكون على الأنهار[٢]

وقد تعددت وتباينت الجسور في العصر المملوكي، وارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالعمارة المائية، والهندسة البحرية في عصر الدولة المملوكية.

وانقسمت تلك الجسور إلى قسمين بشكل عام: جسور سلطانية، وجسور بلدية.

كما انقسمت الجسور بحسب طبيعتها إلى قسمين ثابتة ومتحركة ، وقبل الحديث عن الجسور بأنواعها، والهيئة الهندسية المشرفة على عملية تنفيذ الجسور، لا بد من ايضاح أمر هام أولا، الا وهو الخلط بين الجسر والسد، إلا اذا اعتبرنا أن الجسر والسد هنا بمعنى واحد.

على كل كانت تلك الجسور الغرض منها هو دفع الماء عن المناطق السكنية التي يخشى عليها من الغرق اثر الفيضان، أو زيادة النيل عن الحد الطبيعي، حيث كانت تتسلل تلك المياه إلى النواحي الاضعف من الشاطئ ومن الأماكن المنخفضة محدثة برك أو قيعان، وكان لا بد من اجراء تدابير وقائية الغرض منها حماية المناطق السكنية ودفع الماء عن تلك المنخفضات.

وقد فصل ابن مماتى القول: في شأن الجسور فقال :

الجسور السلطانية: هي العامة النفع في حفظ النيل على البلاد كافة، إلى حين وقوع الغنى عنه، وزوال الخوف عليها منه.

وهو هنا يقصد النيل وفيضانه، وأن المراد من تلك السدود الترابية هو حماية البلاد والعباد من الهدم والغرق.

ثم يكمل القول: ولها رسوم موظفة على الأعمال الشرقية والغربية، تستخرج بأيدي مستخدمي الديوان، وينفق عليها منها، ويحمل ما تبقى إلى بيت المال[٣]

ثم يتابع حديثه عن الجسور السلطانية فيقول:" والجسور السلطانية إذاً جارية مجرى سور المدينة، الذي يجب علي السلطان – خلد الله ملكه – الاهتمام بعمارته، والنظر في مصلحته، وكفاية العامة أمر الفكرة فيه[٤]

كما تناول القلقشندي تلك الجسور بشيء من التفصيل، حيث قال :

---

[١] ( الفارابي) .أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، ٦١٣/٢. مادة جسر .

[٢] أحمد رضا: معجم متن اللغة، ناشر: دار مكتبة الحياة – بيروت، ١٩٦٠م، ٥٢٧/١.

[٣] أسعد (أبو المكارم) بن مهذب (الملقب بالخطير أبي سعيد) بن مينا بن زكريا، ابن مماتي : ( ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩م) قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطيه، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، صـ ٢٣٢

[٤] قوانين الدواوين، صـ ٢٣٣

أن الجسور السلطانية : "هي الجسور العامة، الجامعة للبلاد الكثيرة التي تعمر في كل سنة في الديوان السلطاني بالوجهين: القبليّ والبحريّ، ولها جراريف [١] ومحاريث [٢] وأبقار مرتّبة على غالب البلدان بكل عمل من أعمالها. وقد جرت العادة أن يجهز لكل عمل في كل سنة أمير بسبب عمارة جسوره، ويعبر عنه بكاشف الجسور بالعمل الفلاني،[٣] ويعرّف بذلك في تعريف مكاتبته عن الأبواب الشريفة [٤]، وربما أضيف كشف جسور عمل من الأعمال إلى متولّي جريه، ويقال في تعريفه: والي فلانة وكاشف الجسور بها، إذا كانت المكاتبة بسبب شيء يتعلق بالجسور؛ ولهذه الجسور كاتب منفرد بها مقرّر في ديوانه ما على كل بلد من الجراريف والأبقار[٥]، وتكتب التذاكير السلطانية [٦] لكاشف كل عمل في الورق الشامي المربّع [٧]، ويشملها العلامة الشريفة [٨] السلطانية بالاسم الشريف، وللجسور خولة ومهندسون لكل عمل يقومون في خدمة الكاشف في عمارة الجسور إلى أن تنتهي عمارتها."[٩]

ومن خلال النصين السابقين يتضح ما يلي:

١- الجسور السلطانية هي الجسور أو السدود الرسمية للدولة، والتي ينفق عليها من الخزانة العامة، ولها كتاب خاص للمصروفات والنفقات.

---

[١] جرف الشيء أي أخذ منه الكثير، وجرفته أي ذهبت بجله أ وكله، وجرفت الطين أي كسحته، المِسْحاة تُتَّخذ من خشب يجرف بها التراب ونحوه من فوق الأرض . الجوهري: الصحاح، ١٣٣٦/٤. نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الأرياني – د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م. ١٠٤٧/٢.

[٢] محاريث، ومحارث، مفردها محرث، والمحراث آلة حرث الأرض رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م): تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠ م.: ج ١١٥/٣.

[٣] يقصد المركز أو الناحية.

[٤] الشرف : المكان المرتفع، ويقصد بها ديوان السلطان، أو الوزارة، أو كتابة السر، وغيرها من الوزرات ذات القدر. للمزيد راجع، القلقشندي: صبح الأعشى، ١٠٧/٨.

[٥] تم تخصيص هذا المكان للأبقار السلطانية، ينفق عليه من الديوان السلطاني، عرف هذا المكان بدار البقر، ذكرها المقريزي، فيما بين قلعة الجبل، وبركة الفيل ( الحلمية الآن) بالخط الذي يقال له اليوم حدرة البقر(شارع المظفر أو المضفر كما تسميه العامة السيوفية)، كانت دارا للأبقار التي برسم السواقي السلطانية، ومنشرا للزبل، وفيه ساقية، ثم إن الملك الناصر محمد بن قلاون أنشأها دارا واصطبلا وغرس بها عدّة أشجار. للمزيد المقريزي: الخطط ١٢٥/٣. محمد كمال السيد : أسماء ومسميات، الهيئة العامة للكتاب، ٤٠٥

[٦] يقصد بها المناشير والمراسيم للمزيد انظر صبح الأعشى، ٨٤/١٣.

[٧] أحد أنواع الورق المشتهر في بلاد الشام، وكان يسمى الورق المصري بالبلدي تمييزاً له عن الشامي، وكان هذا النوع من الورق مخصص لكتاب ديوان الخاص، وتكتب عليه المراسيم والأوامر السلطانية. للمزيد القلقشندي : صبح الأعشى، ١٩٢٢/٦.

[٨] أشبه بشعار الجمهورية الآن، حيث كانت تمهر المراسيم، برنوك وأختام السلاطين ويطلق عليها العلامة الشريفة السلطانية.

[٩] صبح الأعشى: ٥١٥/٣

٢- لتلك الجسور عددا من الموظفين على ثلاث هيئات رئيسة، هيئة هندسية وهيئة إدارية وهيئة فنية.
٣- لتلك الجسور أدوات خاصة، وخطابات رسمية ومناشير ومراسيم من السلطان إلى من هو دونه من الأمراء والكشاف كما سيأتي تفصيله.
٤- الأمير المختص بكشف الجسور يتغير في كل عام.

النوع الثاني: الجسور البلدية.

أو الجسور الخاصة على حد تعبير ابن مماتى، الذى قال بأنها خاصة النفع بناحية دون أخرى، يتولى اقامتها المقطعون، والفلاحون بما ينفقوه فيها من عندهم، وقد فرق بين النوعين بقوله: أن السلطانية جارية مجرى سور المدينة الذي يجب على السلطان الاهتمام بعمارته والنظر في مصلحته وكفاية العامة أمر الفكرة فيه، والبلدية جارية مجرى الآدر والمساكن التي داخل السور، كلّ صاحب دار منها ينظر في مصلحتها ويلتزم تدبير أمره فيها [١]

ثم أضاف القلقشندي المتوفي في سنة ٨٢١ هـ / ١٤١٨م،" قلت: وقد أهمل الاهتمام بأمر الجسور في زماننا، وترك عمارة أكثر الجسور البلدية، واقتصر في عمارة الجسور السلطانية على الشيء اليسير الذي لا يحصل به كبير نفع، ولولا ما منّ الله تعالى به على العباد من كثير الزيادة في النيل من حيث إنه صار يجاوز تسعة عشر ذراعا فما فوقها إلى ما جاوز العشرين، لفات ريّ أكثر البلاد وتعطلت زراعتها فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً"[٢]

وهذا يعود بنا كما سبق واشرت لتباين فترات الحكم من زمن ابن مماتى في بداية العهد المملوكي، وفي الزمن الذى تحدث عنه القلقشندي في عصر المماليك البرجية، وشتان بين العصرين، والفترتين من حيث الاستقرار السياسي والاقتصادي.

ولعل الدليل على هذا ما ذكره المقريزي المتوفي سنه ٨٤٥ هـ / ١٤٤١م، عند حديثه عن تلك الجسور حيث قال: " ثم صار يتولى ذلك أعيان أمراء الدولة إلى أن حدثت الحوادث في أيام الناصر فرج ()، فصار يجبي من البلاد مال عظيم، ولا يصرف منه شيء البتة، بل يرفع إلى السلطان، ويتفرّق كثير منه بأيدي الأعوان، ويسخر أهل البلاد في عمل الجسور، فيجيء الخلل كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى عند ذكر أسباب الخراب."[٣]

علي كل فإن الفرق بين النوعين بدا واضحاً، فالأول هو الأهم والأعم، حيث يقع على عاتق الدولة، وأصبح يشبه في زماننا ما تقوم به الحكومات والأنظمة من تشييد الطرق الكبرى وبناء الكباري العملاقة التي يعم نفعها علي جميع البلاد والعباد.

أما الجسور البلدية أو الخاصة، أشبه بما يقوم به العوام الآن من تمهيد بعض الطرق الخاصة، وبناء بعض المعابر الضيقة على ضفاف الترع المنبثقة على النيل.

---

[١] قوانين الدواوين، صـ ٢٣٣
[٢] صبح الأعشى، ٥١٦/٣.
[٣] الخطط اراجع:ية،جـ١٨٩/١.

والآن نتحول لأمر أخر سبق ونوهت عليه، الا وهو أن لتلك الجسور، ثلاث هيئات على الأقل، هيئة إشراف وإصدار الأمر ممثلة في السلطان ومن ينوب عنه، وهيئة هندسية ممثلة في مجموعة من المهندسين والفنيين، وهيئة تنفيذ ممثلة في الكشاف والخولة ومن دونهم من العمال وغيرهم.

ومن بين أهم الأعمال المتعلقة ببناء وهندسة الجسور نذكر:

**١- كاشف الجسور:**

الكاشف، لفظ عربي يراد به معان عده، منها النيابة والولاية والإمارة، ويطلق على المراجع والمحقق، والخبير ومفتش البضائع، ونائب الوجه البحري، وكذا نائب الوجه القبلي، والكاشف، هو الرئيس في مؤسسة ما، فتقول كاشف الوجه البحري، أي رئيس الوجه البحري، أو نائب السلطان عن تلك المنطقة، وقد فصل القلقشندي القول عن الكشاف وعقد لهم مبحثا خاصاً [١]

ومن بين تلك الوظائف وظيفة كاشف الجسور أو كاشف التراب، يعين في كل سنة من أمراء الألوف، يعين في فصل الربيع من كل عام، وكانوا أول الأمراء ثلاثة أمراء أو كشاف، كاشف للوجه القبلي، وحدود كشوفيته تبدأ من الجيزة وحتى الجنادل[٢]، وتحت إمرته سبع ولاة، لكل إقليم من أقاليم الوجه القبلي والي أو مساعد للكاشف، وأخر للبحري، وتحت إمرته سبعة، لكل إقليم وال، وثالث بالجيزة .

ومع تطور الحركة التاريخية والحضارية، زاد عدد الكشاف، فصار للصعيد ثلاثة كشاف وللوجه البحري اثنان وهكذا، زاد عدد الكشاف في كل انحاء الدولة [٣]

وكان الكاشف بمثابة نائب السلطنة في تلك المهمة الجسيمة ورأس الجهاز المتابع لعملية بناء وتشييد الجسور.

**٢- الخولة .**

الخولي في اللغة المتعهد، والقائم بالأمر والسائس[٤] وجمعها خوله، وقد أشارت المصادر لعمل هؤلاء الخولة، وكان هؤلاء الخولة علي أصناف، خولة البلاد أو مشايخها، وهو منصب أشبه بمنصب العمدة الآن، وكان لهؤلاء بالغ الأثر في ضبط مسائل الجسور، والضرائب ، والنظام في القرى والنجوع وغيرها من الأمور المسندة إليهم.

وقد امدتنا بعض المصادر عن طبيعة عمل هؤلاء الخولة، من ذلك ما ذكره النويري، عن وفاء النيل حيث يقول: أن النيل إذا قصر عن الحد المعلوم ( ما بين ١٦ : ١٨ ) غلت الأسعار، وإذا انتهي في الزيادة،

---

[١] للمزيد راجع : صبح الأعشى، ٢٦/٤. رينهارت : تكملة المعاجم العربية، ٩٧/٩.

[٢] صخرة بقدر رأس الإنسان. الجندل والجنادل: المكان الكثير الجندل، والأرض جندلة وجندلة. الجنادل: القوي الشديد من كل شيء. أحمد رضا: معجم متن اللغة، جـ٥٨١/١.

[٣] خليل بن شاهين الظاهري، غرس الدين، يعرف بابن شاهين: أمير، من المماليك (٨٧٣هـ/١٤٦٨م) زبدة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق، بولس روايس، المطبعة الجمهورية بباريس، ١٨٩٣م، صـ ١٢٨

[٤] الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ/٩٨٠م): تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، ٢٢٩/٧.

غشّى الأرض، وتصير القرى فوق الرّوابى [١] فلا يتوصّل إليها إلا في المراكب أو على الجسور الممتدّة التي تنفق عليها الأموال الكثيرة وتتخذ لحفظ الماء [٢]

ويفهم من هذا النص أن الجسور العائمة أحد أنواع الجسور التي لجأ إليها سلاطين المماليك، حال زيادة النيل عن الحد.

ثم يتابع قوله: فيذكر، فإذا انتهى ري مكان وأخذ حدّه، قطع جسر ذلك المكان من مكان معروف (يعرفه خولة البلاد ومشايخها) تروى منه الجهة التي تليها مع ما تجمع فيها من الماء المختص بها. ولولا إتقان هذه الجسور وحفر الترع لقلّ الانتفاع بالنيل. وقد حكى أنه كان يرصد لعمارة الجسور في كل سنة ثلث الخراج لعنايتهم بها: لما يترتب عليها من المصالح، ويحصل بها من النفع في ري البلاد.[٣]

كما أشار القلقشندي لهؤلاء الخولة عند مستهل حديثه عن الجسور وأنواعها، فقال وللجسور خولة ومهندسون... [٤]

٣- المهندسون .

الهندسة أو الهندزة كلمة فارسية الأصل، صُيرت فيها الزاي سيناً، لأنه لا زاي بعد الدال في لغة العرب[٥] والمهندس كما أوردته المعاجم بأنه الذي يقدِّر مجاري القُنيِّ حيث تُحْفَرُ[٦] والمهندس كذلك الذي يعرف مواقع الماء تحت الأرض، [٧].

وعند رينهارت المهندس هو مشرف البناء، وهو المدبر، ورئيس البنائين [٨].

ومما سبق يتضح أن الهندسة كانت أحد الحرف المشهورة في العصر الإسلامي، سيما في العصر المملوكي، فناصر خسرو المتوفى سنة ٤٨١ هـ / ١٠٨٨م. عندما يزور القاهرة يصف قصر الحاكم فيها فيقول:" ويقع قصر السلطان في القاهرة وهو طلق من جميع الجهات ولا يتصل به أي بناء وقد مسحه المهندسون فوجدوه مساويا لمدينة ميافارقين وكل ما حوله فضاء " [٩]

---

[١] الرابية: ما ربا وأرتفع عن الأرض، وقيل: ما ارتفع من الأرض بين سهلين نهريين. الهروي: تهذيب اللغة، جـ١٥/ ١٩٦. أحمد مختار وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ، جـ٢/٨٥٢.

[٢] نهاية الارب في فنون الأدب ، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ ، ٢٦٤/١.

[٣] نهاية الارب، ١/ ٢٦٥.

[٤] صبح الأعشى، جـ ٣ / ٥١٥

[٥] الجوهري: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ/٧٨٦م): كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، وابراهيم السامرائي، مكتبة دار الهلال، جـ٤/ ١٢٠.

[٦] الجوهري : الصحاح، ٩٩٢/٣.

[٧] نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ/١١٧٧م): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم.جـ١٠ / ٦٩٩٥

[٨] رينهارت: تكملة المعاجم العربية، ٢٣/١١.

[٩] سفر نامه: صـ ٨٩.

ومن ذلك ما ذكره أبو شامه، عن المنبر الذى صنعه نور الدين محمود بن زنكي(٥٦٩هـ/ ١١٧٤م)، لبيت المقدس، حكى أبو شامة أن المهندسين والنجارين وغيرهما تعبوا في صنعه سنين، وأنفق في عمارته وتزيينه ألوفاً[١]

وقد كان لتلك الطائفة بالغ الأثر في الحركة الحضارية، في تاريخ الدولة الإسلامية، إذ أن على عاتقهم تقع العديد من المهام الجسام، مثل بناء القصور الشاهقة والعمائر، المتنوعة، ما بين منشآت دينية ممثلة في المساجد والخوانك والربط، والمدارس التي يشهد ما تبقى منها على عظمة وعبقرية الفن والهندسة الإسلامية، وكذا المنشآت المدنية والعسكرية والتجارية، والجسور والسدود والقناطر، التي تبرهن على نبوغ تلك الطائفة.

وقد أفرد القلقشندي، مبحثا خاصاً تحدث فيه عن بعض أنواع المهندسين، وذكر من أنواع المهندسين، ما يعرف بمهندس العمائر، وعرفه بأنه "هو الذي يتولّى ترتيب العمائر وتقديرها ويحكم على أرباب صناعاتها. والهندسة علم معروف فيه كتب مفردة بالتصنيف"[٢]

وفي حوادث سنة ٧٠٧ هـ/ ١٣٠٧م، يمدنا المقريزي بنص، يبين مدى أهمية مهندسي الجسور، حيث يقول: وورد الخبر بأن ملك قبرص عقد معاهدة مع بعض ملوك الغرب، الغرض منها غزو دمياط ومهاجمة السواحل المصرية، فأمر السلطان (الناصر محمد)بعد مشاورة الأمراء ، بعمل جسر من القاهرة إلى دمياط!

فصدرت الأوامر للولاة في الأقاليم بإخراج الرجال والأبقار، وأستدعى المهندسين من شتى البقاع التابعة للدولة المملوكية، واستلزم هذا العمل الهائل ثلاثمائة جرافة[٣] وستمائة رأس من البقر، وثلاثين ألف رجل، وتم عمل هذا الجسر الجبار الممتد من قليوب حتى دمياط في أقل من شهر[٤]

وفي حوادث سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م، يذكر كذلك أن الناصر محمد (٧٤١ هـ/ ١٣٤١م) ركب متوجهاً نحو الجيزة، فندب بدر الدين التركماني[٥]،وندب بدر الدين بن التركماني لعمل جسورها وقناطرها، واستدعى المهندسين، فأنشأ ابن التركماني لكل بلد جسرا متقنا.[٦]

وهناك العديد من النصوص التي تبين أهمية عمل المهندسين، سواء في الجسور أو القناطر، أو العمائر، أو غيرها.

---

[١] الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، المحقق: إبراهيم الزيبق، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧ م. جـ٣/٣٩٤.

[٢] صبح الأعشى، ٤٨٣/٥.

[٣] جرافات: اسم آلة من جرف: نوع من الجرارات في مقدمته نصل حاد يتخذ لشق الطرق وتسويتها وغيرها من الأغراض. أحمد مختار وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣٦٥/١.

[٤] المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ/١٤٤١م): السلوك لمعرفة دول الملوك، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م: السلوك، جـ٢/ ٤٢٦.

[٥] الأمير حسام الدين ابن باكيش المشهور ببدر الدين التركماني، أحد الأمراء المماليك، نائب غزه، مات مقتولاً في سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م. للمزيد. ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، جـ٥/١٥١

[٦] السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٢/٤٩٠

**٤- ولاة الأقاليم والكشاف.**

من المهن التي ارتبطت كذلك بالجسور والسدود، ولاة الأقاليم، والكشاف، وكان هؤلاء الكشاف أو ولاة الاقاليم، بمثابة المحافظين ورؤساء المدن، بجانب مشايخ القرى والعربان، وتنحصر مهامهم في توفير الرجال من القرى والنجوع، وارسال البقر والثيران، والآلات وغيرها، مع الإشراف على العمل مع كشاف الجسور والوله، والمهندسين في اقاليمهم.

وقد امدتنا المصادر، عن دور هؤلاء الولاة، من ذلك ما ذكره المقريزي عن حوادث سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م، حيث تم حفر خليج الإسكندرية، وتم توجيه الأوامر السلطانية لكافة ولاة الأقاليم، وتم جلب أربعين ألف رجلاً من الفلاحين ومن القرى وغيرها وتوزيع العمل لإنجازه [١]

وفي سنة ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤م، اضيف كشف الجسور إلى ولاة الاقاليم [٢]

وهناك العديد من النماذج التي سنراها لهؤلاء، عند الحديث عن بعض الجسور.

وبجانب تلك الهيئة، هناك مهن أخرى وحرف ارتبطت ببناء الجسور، مثل: المشد[٣]، و كذلك العمال، والحرفيين، من بعض الطوائف التي كانت لها صلة مباشرة وغير مباشرة بهذا العمل.

نماذج لبعض الجسور والسدود في عصر دولة المماليك.

تباينت الجسور وتنوعت، ما بين سلطانية، وبلدية، وبين ثابتة ومتحركة، وعائمة وغيرها من الجسور والسدود، على اعتبار أن تلك الجسور أحد أهم المشاريع المائية في مصر المملوكية، فبها تستقيم أمور الفيضان، ويتم تخزين المياه الفائضة، كما أن تلك الجسور تحفظ العمران من الخراب والدمار.

ومن بين تلك الجسور نذكر:

---

[١] السلوك: جـ ٢/٤٧٥.

[٢] المقريزي: السلوك، جـ ٣/٤٢٤.

[٣] هو في مصر الرئيس والوكيل الضابط الذي يراقب الأعمال من كل نوع، ويحث الموظفين على العمل، ويجمع الضرائب والخراج، ويطلق كذلك على من يتولى نقل الأوامر من وكيل السلطان إلى رؤساء القرى وعمدها، وقد تنوعت واختلفت أعمال وأنواع الشادين ما بين شاد العمائر وهو المسئول عنها وعن ما يتعلق بها أمام السلطان، وهناك شاد الدواوين، وهو منصب يشبه إلى حد كبير منصب وزير المالية في عصرنا المعاصر، فإليه أمر تحصيل المال، وصرف النفقات والكلف، كما أن الشاد بمثابة الوالي في الأقاليم الصغيرة مثل جزيرة الذهب مثلا القريبة من الإسكندرية، وهناك العديد من المهن التي باشرها المشَّدين . للمزيد السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١ هـ/١٣٦٩م): معيد النعم ومبيد النقم، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م:، صـ ١٠٠. القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٣/٤٦٢. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى : ٩١١هـ/١٥٠٥م): حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر : دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، الطبعة : الأولى ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م جـ ٢/١٣٢. رينهارت : تكملة المعاجم، جـ٦/٢٧٦.

١- جسر الأفرم:

أحد منشآت الأمير عز الدين الأفرم، كان موقعه قديما فيما بين رحبة الحناء بالفسطاط، وبين منطقة أثر النبي[١] بمصر القديمة، وتحديدا في رباط[٢] الأفرم[٣]، الذى بناه الأمير عز الدين الأفرم[٤].

---

[١] يعتبر رباط أثر النبي من أهم متنزهات مصر ذات الصفة الدينية في العصريين المملوكي والعثماني وذلك لما تمتع به منذ إنشائه من موقع إذا كان يقع جنوب مدينة مصر الفسطاط مطلا على النيل مباشرة ومحاطا ببساتين ومزروعات ومواجهاً لبرك الحبش والشعيبية وشطا، وكان يتوصل إليه عن طريق جسر الأفرم. وكان الرباط مجاورا لبستان شهير عرف باسم المعشوق، والمعشوق هذا بستان قديم كان بمظاهر مصر من جملة خطة راشدة كان قد عرف أولا بجنان كهمس بن معمر ثم عرف بجنان الأمير تهيم بن المعز لدين الله ثم جدده الأفضل بن أمير الجيوش فعرف به ثم صار من وقف ابن الصابوني فأخذه الصاحب تاج الدين محمد بن حنا وعمر به مناظر وأوصى بعمارة رباط للآثار النبوية وأن توقف عليه. وظلت الأراضي حول رباط اثر النبي بساتين وحقولا حتى حولت على أرض مباني في النصف الثاني من هذا القرن فاتصلت مبانيها بدار السلام (دير الطين سابقا) من ناحية الجنوب أما شمال الرباط فقد شغل ساحل أثر النبي جزءاً كبيرا من هذه البساتين، وكذلك شغل جزء من الأرض الآن جراج لهيئة النقل العام بالقاهرة. ويشرف جامع أثر النبي (رباط سابقا) حاليا على ترعة أثر النبي وهي فرع من النيل يواصل لساحل الغلال. محمد الششتاوي، متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، القاهرة: ، ص ٢٥٤- ٢٥٥.

[٢] الرباط في اللغة، من المرابطة وتعني ملازمة الثغر، وتعني كذلك الجهاد في سبيل الله، وفي المصطلح الأثري يعني بناء أو ثكنة عسكرية كانت تبنى على الحدود والثغور للجند المرابطين لحماية تلك الحدود من المعتدين، ومع تطور الحركة التاريخية واستقرار الأوضاع، تحولت تلك المنشآت من الصفة العسكرية إلى الصفة الدينية، حيث سكنها الصوفية وأرباب التقشف والزهد، وصارت تبنى داخل المدن. جار الله الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م): الفائق في غريب الحديث والأثر، المحقق: علي محمد البجاوي –محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة – لبنان، ط٢، جـ٣/٢٥٥. ۞ عاصم محمد رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط ١، ٢٠٠٠م، القاهرة، صـ ١١٦.

[٣] أحد الأثار التي بناها الأمير عز الدين أيبيك الأفرم وهو من الأثار الدارسة، ذكره المقريزي وقال: هذا الرباط بسفح الجرف الذي عليه الرصد، وهو يشرف على بركة الحبش، وكان من أحسن منتزهات أهل مصر. أنشأه الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير خازندار الصالحيّ النجميّ، ورتب فيه صوفية وشيخا وإماما، وجعل فيه منبرا يخطب عليه للجمعة. والعيدين، وقرّر لهم معاليم من أوقاف أرصدها لهم، وذلك في سنة ثلاث وستين وستمائة(٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م)، وهو باق إلّا أنّه لم يبق به ساكن لخراب ما حوله، وله إلى اليوم متحصل من وقفه، والأفرم هذا هو الذي ينسب إليه جسر الأفرم خارج مصر. قلت وقد دثر هذا الأثر ولم يبقى ما يدل عليه. للمزيد الذهبي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ، جـ٣٠٦/٤.

[٤]عز الدين الأفرم أمير جندار(لفظ تركي تعني الحارس الخاص، وامير جاندار أي قائد الحرس الخاص. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار،٤٥٤/٣. )، أحد كبار رجال الدولة، أصله من مماليك الصالح نجم الدين أيوب، وأيبك : ayinbe؛ كلمة تركية تعني أمير قمر ، وهو أيبك الأفرم الصالحي النجمي ، لم أقف علي تاريخ مولده ، كان من كبار رجال الدولة ، توفي بالقاهرة سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١م وقيل ٦٩٥ هـ ، عاصر عز الدين ايبك (٦٤٨ – ٦٥٦ هـ / ١٢٥٠–١٢٥٨م ) والظاهر بيبرس (٦٥٨–٦٧٦ هـ / ١٢٦٠ – ١٢٧٧ م ) والمنصور قلاوون ( ٦٧٨ – ٦٨٩ هـ / ١٢٨٠ – ١٢٩٠ م ) وغيرهم من كبار سلاطين الدولة المملوكية ، عينة الظاهر بيبرس أمير جاندار (الأمير المختص بإدخال الأمراء علي السلطان تشبه وظيفة السكرتير الآن ، القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٤ / ٢٠ ) وتم تعيينه نائب =

وقد كانت تلك المنطقة مغمورة بماء النيل، ثم انحسر الماء عنها فصارت، أرض فضاء، حتى شمال خليج بني وائل[١]، ولما آلت بركة الشعيبية، إلى الأفرم **وآذن للناس بالبناء والتحكير**[٢]، **وكان موضع هذا الجسر ترعة، تصل الماء إلى الماء إلى البركة المذكورة**، فقام عز الدين الأفرم بردم تلك الترعة، وصارت جسراً وبني الناس هناك الدور، حتى صارت تلك المنطقة من أعظم المناطق حيث صارت سكناً للأمراء والأعيان، ثم تغير الحال بعد انطراد النيل عن البر الغربي، فخربت الدور وهدم معظم العمائر في تلك المنطقة، [٣]

وتكمن تلك المنطقة الآن في المنطقة المحصورة بين الفسطاط ومنطقة أثر النبي بمصر القديمة . وقد حددها بعض الباحثين بأنها الأرض الزراعية الكائنة أمام منطقة أثر النبي الحالية! [٤]

---

=للسلطنة في عصر المنصور قلاوون سنة ٦٧٨ هـ ١٢٧٩ م ، كما كان له دور بارز في إحراز نصرا مؤزرا علي المغول في حمص سنة ٦٨٠ هـ ١٢٨١م ، له العديد من المنشآت والعمائر توفي في القاهرة في التاريخ المذكور في سلطنة العادل زين الدين كتبغا . للمزيد الذهبي : تاريخ الإسلام ، جـ ١٥/ ٨٠٩.۞ المقريزي السلوك ، جـ ٢ / ١٢٣ ؛ ٢٦٠ .۞ ابن تغري بردي :النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تعليق محمد رمزي، طبعة دار الكتب المصرية، ط١، جـ٨/٢٢٦. ۞محمد سالم: الهجرات المشرقية إلى مصر، رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية اللغة العربية بالمنصورة، صـ ١٦١.

[١] بني وائل إحدى القبائل العربية التي سكنت مصر، وقد بين المقريزي موضع هذا الخليج فقال: "خليج بني وائل مما يلي باب مصر من الجهة القبلية، الذي يعرف إلى يومنا هذا بباب القنطرة، من أجل أن هذه القنطرة كانت هناك. قال ابن المتوج: ورأيت ماء النيل في زمن النيل يدخل من تحته إلى خليج بني وائل. قلت وفي أيام الناصر محمد بن قلاون استولى النشو ناظر الخاص على بركة الحبش، وصار يدفع إلى الأشراف من بيت المال مالا في كل سنة، فلما مات الناصر وقام من بعده ابنه المنصور أبو بكر أعيدت لهم." وكان علي الخليج المصري قناطر تعرف بقناطر بني وائل ( منطقة الوايلي حالياً) للمزيد الخطط المقريزية، جـ٣/٢٧٥.

[٢] الحكر في اللغة: عقار محبوس لجهة معينة تستفيد منه، ولا يباع ولا يشترى. والأحكار، من المصطلحات التي اشتهرت في عصر سلاطين المماليك، خصوصاً في عصر الناصر محمد بن قلاوون(٧٤١هـ/١٣٤١م)، حتى أن الأحكار في عصر زادت على ستين حكراً، وكانت لتلك الأرض ديوان خاص ومدير لهذا الديوان يعرف بمتولي الأحكار، والمراد بالأحكار هي الأرض المحبوسة، أو أرض الدولة بمفهومنا الحالي، وكانت تمنح تلك الأحكار من قبل السلطان لكبار رجال الدولة كإقطاع أو منحة أو هبة مقابل أموال تؤدى لخزينة الدولة، ويحق لهذا الأمير بيع وتقسيم تلك الأرض علي العديد من الناس وقد اشتهرت تلك الأحكار علي جانبي الخليج المصري، والبرك مثل بركة الحبش، وبركة الفيل وبركة قرموط وغيرها من البرك . المقريزي: السلوك،جـ٣/٣١٧.۞ الخطط المقريزية:جـ٣/٢٠٥ .۞ أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة،جـ١/٥٣٥. مادة حكر.

[٣] المقريزي: الخطط، جـ ٣/٢٩٢

[٤] إحدى البرك والمتنزهات التي أشار إليها المقريزي فحدد مكانها خلف جسر الأفرم فيما بينه وبين الرصد (إسطبل عنتر حاليا)، سميت بركة الشعيبية بهذا الاسم نسبة إلى بنى الشعيبية الذي بنو حولها في زمن الدولة الأيوبية والدولة المملوكية، كانت نزهة المصريين، فلما استأجرها الأمير عز الدين أيبك الأفرم من الناظر عليها من جهة الحكم العزيزي، غرس فيها الأشجار والكروم وحفر الآبار، وهذه البركة مساحتها أربعة وخمسون فدّانا، ولها حدود أربعة، الحدّ القبليّ، ينتهي بعضه =

٢- الجسر الأعظم.

لم يكن الأول من نوعه الذي سمي بهذا الاسم ؛ إنما سبقه جسور أخرى في ربوع دولة الخلافة عرفت بهذا الاسم، منها الجسر الأعظم بالبصرة، وهو موضع نزول خالد بن الوليد اثناء مسيره إلى العراق[١].

أما الجسر الأعظم بمصر فهو من أعمال الناصر محمد بن قلاوون (٧٤١هـ/١٣٤١م) كان حداً فاصلا بين بركة الفيل [٢](الحلمية) وبركة قارون[٣] (البغالة) نوه المقريزي لها عند ذكر الجسور فقال:

" هذا الجسر في زماننا هذا قد صار شارعا مسلوكا يمشى فيه من الكبش[٤] إلى

---

=إلى بعض أرض المعشوق الجاري في وقف ابن الصابوني، وإلى الجسر الفاصل بينها وبين بركة الحبش، وفي هذا الجسر الآن قنطرة يدخل إليها الماء من خليج بركة الأشراف، والحدّ البحريّ: كان ينتهي بعضه إلى منظرة قاضي القضاة بدر الدين السنجاريّ، وإلى جسره. المقريزي: الخطط، جـ ٣/٢٨١.

[١] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ/٩٢٢م): الرسل والملوك، الناشر: دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٣٨٧ هـ، جـ٣/٣٥٠.

[٢]) هي بركة عظيمة جدا، كانت من آجل وأجمل متنزهات القاهرة قديما، أنظر إلى بركة الفيل التي اكتَنَفَت. بها المناظِرُ كالأهدابِ للبَصَر.... اختلف في سبب تسمية البركة ببركة١٩٨٦م،هناك رأى ينسبها إلى رجل اسمه الفيل كان أحد أصحاب أحمد بن طولون (٢٥٤ –٢٦٩هـ/٨٦٨ – ٨٨٢م)، وهناك رأى ثاني ينسبها إلى دار الفيلة التي كانت واقعة على حافة البركة وهناك رأى ثالث يذكر أنها قبل لها بركة الفيل لأنه كان يسبح فيها فيل كبير يخرج الناس لرؤيته. أما اللفظ الوثائقي في زمن المماليك والعثمانيين فهو إما بركة الفيل أو بركة الف١٩٨٦م،نت بركة الفيل تقع فيما بين مصر الفسطاط والقاهرة، وكانت مساحتها في العصر الفاطمي كبيرة جداً ولم يكن عليها بنيان حتى عام ٦٠٠ هـ /١٢٠٤م، وكانت تعتبر من ظواهر مدينة القاهرة، وقل ظل الاسم مستخدما حتى زمن الجبرتي بل وحتى القرن ١٩ تقريبا، ولا يزال هناك شارع بالسيدة زينب يحمل هذا الاسم، ومن الأحياء التي شملتها بركة الفيل قديما، الحبانية ولا تزال هناك سكة أو طريق قائم يعرف بسكة الحبانية حتى الآن يصل بين البركة والحبانية، وكانت البركة تشغل من القاهرة المساحة التي تحد اليوم من الشمال بسكة الحبانية ومن الغرب بشارع درب الجماميز فشارع اللبودية وشارع الخليج المصري ثم من الجنوب بشارع عبدالمجيد اللبان (مراسينا سابقاً) . المقريزي، جـ ٢/٢١٤. محمد كمال السيد: أسماء ومسميات من مصر القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م ، صـ ٣٨٧.محمد الششتاوي: متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، صـ١٠٥. محمد سالم الصعيدي: خطط القاهرة في ظاهره الجنوبي الغربي( الحبانية درب الجماميز– اللبودية) رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بالقاهرة.

[٣]) إحدى ظواهر القاهرة الجنوبية، كانت أرض فضاء، ومتنزه من متنزهات القاهرة، عرفت باسم بركة قراجا،. ولكنها تختلف عن بركة الفيل أنها قد عمرت قديما، في أيام عمران القطائع والعسكر، ثم خربت بعد ذلك، حتى عدت للحياة مرة أخرى، في سنة ٧٢٠ هـ / ١٣٢٠م، على يد الناصر محمد بن قلاوون، وعند دخول الفرنسيين مصر (١٢١٣هـ١٧٩٨م) تضاءلت وانقسمت لرقعتين إحداهما ببركة طولون لقربها من الجامع الطولوني، والأخرى بالملا، ثم عرفت الأخيرة ببركة البغالة لوجود مسجد سيدي محمد البغال. المقريزي الخطط، جـ٣/١٩٨. ٢٨٤. محمد كمال السيد، صـ٣٨٨.

[٤] تحدث المقريزي عن موقعها وتاريخ انشائها فقال: "هذه المناظر آثارها الآن على جبل يشكر بجوار الجامع الطولوني مشرفة على البركة التي تعرف اليوم ببركة قارون عند الجسر الأعظم الفاصل بين بركة الفيل وبركة قارون، أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب في أعوام بضع وأربعين وستمائة".(٦٤٠هـ/١٢٤٢م)، وهي في المنطقة التي تعرف بقلعة الكبش وتشرف من بحريها على شارع مراسينا =

قناطر السباع [١]، وأصله جسر يفصل بين بركة قارون وبركة الفيل، وبينهما سرب يدخل منه الماء، وعليه أحجار يراها من يمرّ هناك، وبلغني أنه كان من قنطرة مرتفعة، فلما أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون (٧٤١هـ/ ١٣٤١م) الميدان السلطانيّ عند موردة [٢] البلاط[٣]، أمر بهدم القنطرة فهدمت، ولم يكن

---

=(عبد المجيد اللبان أو الشارع الأعظم ) ومنتزه الحوض المرصود ومن غربيها على حوش أيوب بك والبغالة (بركة قارون أو بركة الملا)وتنتهى من قبلي إلى درب الساقية، وقد ذكر المقريزي أن هذه المناظر وقت إنشائها كانت تشرف مباشرة على بركة الفيل من ناحية ومن ناحية أخرى على بركة قارون، ولم يكن حينئذ على بركة الفيل بناء ولا في المواضع التي في بر الخليج العربي من قنطرة السباع إلى المقس سوى البساتين وكانت الأرض من صليبة جامع ابن طولون إلى باب زويلة بساتين وكانت من آجل متنزهات مصر، وفي سلطنة الناصر محمد بن قلاوون أمر بهدمها في سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م، وأعاد بناءها بناء آخر وأجرى الماء إليها وجدد بها عدة مواضع وزاد في سعتها وأنشأ بها اصطبلا تربط فيه الخيول، وهذه المناظر التي بناها الناصر محمد عبارة عن سبع قاعات بناها لأجل بناته ينزلون فيها للفرجة على ركوب السلطان للميدان النصارى الكبير على النيل بأرض الخشاب. واستمرت مناظر الكبش قائمة حتى هدمها الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون (٧٧٧ – ٧٧٨هـ/ ١٣٧٥–١٣٧٦م) لما غضب على الأمير اسندمر الذي كان ساكنا بها وقبض عليه، وفي سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م حكر الناس أرض الكبش وبنوا عليها بيوتهم واصطبلاتهم. للمزيد المقريزي : الخطط جـ٣/٢٣٨.۞ الششتاوي: متنزهات القاهرة، صـ ٢٢٩.

[١] سنتكلم عنها بالتفصيل عند ذكر القناطر.

[٢] الموردة: مأتاة الماء، ومنه قول الله تعالي: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ (القصص جزء من آية، ٢٣) . ( ابن سيده) الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (المتوفى: ٤٥٨هـ/١٠٦٦م): المخصص، المحقق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م ، جـ٢/٤٥٩.

[٣] ذكره المقريزي في عدة مواضع، وأن أرض هذا الخط كان جزءا من بستان الخشاب، وكان فم الخليج الناصري الذي حفره الناصر محمد سنة ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥م ،يقع في موردة البلاط كما كان الميدان الناصري السلطاني الذي أنشأه أيضا الناصر محمد سنة ٧١٨ هـ / ١٣١٨م،من جملة خط موردة البلاط. ومما ذكره " المقريزي" يتبين أن خط موردة البلاط على النيل كان مقسما عدة أرصفة متجاورة يختص كل منها بنوع معين من البضاعة وهي موردة البلاط وموردة الملح وموردة الجبس وغير ذلك. وموقع خط موردة البلاط والميدان السلطاني يشغله الآن جزء من حي جاردن سيتي على امتداد النيل من شارع عائشة التيمورية (الوالدة باشا سابقا) جنوبا حتى شارع عبدالقادر حمزة شمالاً. وقد عمر هذا الخط عمارة كبيرة في العصر المملوكي ولا سيما في فترة حكم الناصر محمد حيث كثر العمران والبناء على النيل فاتصلت المباني من أثر النبي جنوبا حتى بولاق شمالا. وبالرغم من بعض المحن التي حلت بتلك الخطط التي على النيل في بعض فترات في العصر المملوكي، إلا أن العمران سرعان ما يعود إليها مثلما حدث أيام الملك المؤيد شيخ (٨١٥–٨٢٤هـ/ ١٤١٢–١٤٢٤م) وما تلاه. وقد غلب على خط موردة البلاط والميدان السلطاني النشاط الزراعي في العصر العثماني حيث وقعت تلك المنطقة على خريطة نيبور الذي زار مصر سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٢م، وكذلك في خريطة الحملة الفرنسية وكانت عبارة عن حقول وبساتين وقد تحول جزء منها إلى ميدان يسمى ميدان النشابة الذي أنشى في العصر العثماني بدلا من الميدان السلطاني الذي كان يقع غربيه والذي كان قد تحول للزراعة لأن أرضه كانت معرضة لطغيان النيل عليها، وقد تعرضت الحدائق والبساتين بتلك المنطقة، وكذلك بساتين مصر القديمة وغيرها التخريب على يد الحملة الفرنسية حيث قطعوا أشجارها ونخيلها. للمزيد المقريزي: الخطط، جـ٣/٢١١. ٢٨٥، ٢٦٠. محمد الششتاوي، متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، صـ ٤١.

إذ ذاك على بركة الفيل من جهة الجسر الأعظم مبان، وإنما كانت ظاهرة يراها المارّ، ثم أمر السلطان بعمل حائط قصير بطولها، فأقيم الحائط وصفر بالطين الأصفر، ثم حدثت الدور هناك."[١]

وموضع هذا الجسر الآن شارع عبد المجيد اللبان أو شارع مراسينا [٢] بالسيدة زينب.

٣- الجسر من بولاق إلى منية الشيرج.

يمتد هذا الجسر من بولاق [٣] إلى منية السيرج أو الشيرج[٤] وهي بلده في شبرا الآن على طريق مصر الإسكندرية الزراعي، وكان السبب في بناء هذا الجسر، أنه في سنة ٧٢٣ هـ/١٣٢٣م، زاد ماء النيل عن

---

[١] المقريزي: الخطط، جـ٣/٢٩٣.

[٢]) أحد أهم الشوارع في مصر القديمة وعرف بهذا الاسم نسبة لضريح يعرف بضريح الشيخ مرسينا. على مبارك: الخطط التوفيقية، جـ ١٢٤/٢.

[٣] البولاق: أو البلاق: كلمة مصرية قديمة تعني موردة الماء، ،خط بولاق، من الأخطاط القديمة، تكون نتيجة طروحات النيل المتوالية وبصفة خاصة الطرح الخامس سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م، وكانت مثل تلك الأراضي في مبدأها تكون لينة وغير متماسكة، وكانت عبارة عن هيئة جزر صغيرة تغطيها الرمال وتحيط بها البرك وتنمو بها الحلفا والبوص ومع الزمن تتصل ببعض حتى تكون كأرض متصلة تجف بعد ذلك وتصلب وتكون صالحة للبناء عليها أو الزراعة بها، وهكذا تكونت أرض بولاق واتصلت من جنوبها وجنوبها الشرقي بأرض اللوق، ومن شمالها بجزيرة الفيل (أرض شبرا وروض الفرج الآن) ومن شرقيها المقس (الأزبكية الآن، استغلت الأرض بولاق بعد تكوينها مباشرة كملاعب وميادين لتدريب المماليك السلطانية للرمي بالنشاب ، ثم بدأ العمران فيها من سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م في النهضة العمرانية العظيمة بمصر التي قادها الناصر محمد بن قلاوون، وتسابق الأمراء والجند والكتاب والتجار والعامة في البناء عليها بالإضافة إلى الزراعة وغرس البساتين المثمرة بها، وتردد الناس عليها للنزهة وصارت من أجمل وأعظم متنزهات كما شهدت نهضة عمرانية كبيرة منذ فترة حكم المؤيد شيخ بعد الأزمات والمحن التي حلت بالقاهرة منذ سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م وقد ذكر محمد رمزي أيضا أن بولاق قد وقعت على خرائط القاهرة المرسومة حتى سنة ١٨٥٨م كبلدة صغيرة واقعة على النيل كانت مبانيها محصورة بين شارع السبتية من الشمال ومن الجنوب بشارع اصطبلات الطرق ومن الشرق شوارع العليمي وعلوه الحجاج وتل نصر ووابور النور، وكانت الأرض التي بين بولاق القديمة وبين شارع رمسيس كلها أرضا زراعية وبساتين ولم تحدث فيها المباني إلا في زمن الخديوي إسماعيل (١٢٨٠ – ١٢٩٦هـ/ ١٨٦٣ –١٨٧٩م) ففي ذلك الوقت اخذت بولاق تتسع في العمارة حتى اتصلت مبانيها بالقاهرة وأصبحت بولاق قسما إداريا من اقسامها. للمزيد، المقريزي: الخطط، جـ٣/٢٣٤۞. محمد رمزي : القاموس الجغرافي،جـ٩/٤ . الششتاوي: متنزهات القاهرة، صـ ٤٤.

[٤] منية الشيرج لا تزال موجودة للآن بشبرا بالقاهرة، وهي بلدة قديمة لها أهميتها لوقوعها في طريق الاسكندرية، وسميت بهذا الاسم لأنه كان بها معاصر كثيرة للسمسم الذي ستخرج منه زيت الشيرج المعروف بالسيرج وهي تعرف أيضا بمنية الأمير ومنية الأمراء لكثرة من سكن بها منهم في العصر المملوكي، وكانت آنذاك عامرة بدور السكنى والقصور وجامع وزوايا وحمامات وبساتين ومتنزهات وكان سوقها الذي يقام الأحد من اسواق مصر المشهورة وكان يباع فيه البقر والغنم والغلال، وكانت عبرتها في العصر المملوكي تفوق العشرة آلاف دينار وكانت تشتهر بعصر الخمر وبيعه، وكان أكثر من كان يسكن بها النصارى ولا يزالون. وهي من محاسن متنزهات القاهرة فقد اتخذها الناس منزل قصف ودار لعب ولهو ومغنى صبابات، لقربها من ناحية شبرا، وذكر " المقريزي" أنه أدركها عامرة بكثرة المساكن والأسواق والمناظر وتقصد للنزهة بها أيام النيل والربيع لا سيما يومي الجمعة والأحد فإنه كان للناس في هذه اليومين مجتمع ينفق فيه مال كثير". وكانت منية السيرج واقعة على شاطئ النيل لغاية سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨١م، وفي تلك السنة طمى الخور الذي كان فاصلا بينها وبين جزيرة الفيل التي تشمل اليوم قسمي شبرا وروض الفرج من أقسام القاهرة فاتصلت أرض الجزيرة المذكورة بالشاطئ الأصلي للنيل وبذلك اصبحت مساكن هذه القرية في وسط الأراضي الزراعية. المقريزي: الخطط، جـ ٢٣٢/٣.۞ محمد رمزي: القاموس الجغرافي، جـ١٤/٢.

الحد وغرق معه بستان الخشاب [١]، ودخل الماء إلى بولاق ومنها إلى باب اللوق، حتى وصل باب البحر[٢] وبساتين الخور [٣]، حتى وصل الفيضان إلى منية الأمراء أو منية السيرج سالفة الذكر، وحينها أبلغ الفخر ناظر الجيش[٤] الناصر محمد (٧٤١هـ/ ١٣٤١م)، فلما وقف الناصر على خطورة الأمر، هاله ماراه، وكان الناصر شخصاً محباً للعمارة على حد وصف المقريزي الذى قال عنه" وكان للملك الناصر رغبة كبيرة في العمارة بحيث أنه أفرد لها ديوانا، وبلغ مصروفها في كل يوم اثني عشر ألف درهم نقرة، وأقل ما كان يصرف من ديوان العمارة في اليوم برسم العمارة مبلغ ثمانية آلاف درهم نقرة"[٥] أمر بعمل هذا الجسر، وصدرت الأوامر السلطانية إلى كل من :

---

[١] أحد الأماكن القديمة، وقد حدد المقريزي موضعه قديما فيما بين مصر ( العواصم الثلاث القديمة ) والقاهرة وكان مغمورا بالماء حتي سنة انحسر النيل عنه فعمره الناصر محمد وزرع فيه البساتين والأشجار وذلك في غضون سنة ٧١٤ هـ/١٣١٤م ،وموضعه الآن في المنطقة الواقعة ما بين شارع المبتديان وجزء من شارع إسماعيل باشا وبالقصر العيني جنوبا ومن الشرق شارع بورسعيد (الخليج المصري ) والغرب نهر النيل . الخطط المقريزية ، جـ ٣ / ٣٥٠ . النجوم الزاهرة جزء التعليقات جـ٧ / ٣٨٨ .

[٢] أحد أبواب القاهرة القديمة التي كانت تفتح علي النيل في منطقة المقس (رمسيس حاليا) كما عرف باسم الباب الجديد . الخطط المقريزية جـ ٣ / ٧٢ . عبد الرحمن زكي ، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، القاهرة: مكتب الأنجلو المصرية، ١٩٨٧، ص١٣٧

[٣] خط فم الخور، أحد أخطاط القاهرة التي تكونت نتيجة طرح النهر ، وقد سمى بهذا الاسم نسبة إلى خليج فم الخور الذي أمر بحفره الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م ، وكان فمه على النيل بميدان عبدالمنعم رياض الآن، وكان مساره بأول شارع رمسيس، ونتيجة لذلك امتد العمران على جانبيه وبنيت فيه الدور والمناظر الجليلة الوصف التي تشرف على النيل ومن وراءها البساتين ويفصل بينهما شارع مسلوك يؤدي إلى بولاق، وقد انشى هناك حمام وجامع وسوق وسكن ذلك الخط الأكابر من الوزراء والأعيان وكان به من الدور العظيمة ما يفوق الوصف. وكان للسلاطين والأمراء في العصر المملوكي هناك بساتين مثمرة بكافة أنواع الفواكه والثمار مثل بستان السلطان برسباي(٨٢٤-٨٤١ هـ / ١٤٢١-١٤٣٧م ) وغيره ، يشغل خط فم الخور الآن المنطقة الواقعة بين ميدان عبدالمنعم رياض جنوبا حتى اتصالها ببولاق بالقرب من شارع ٢٦ يوليو (فؤاد سابقا) شمالا، وكان النيل يحدها غربا ويمثل شارع رمسيس حدها الشرقي . محمد الششتاوي : متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني ، صـ٤٣

[٤] فخر الدين محمد بن فضل الله ، كاتب المماليك، ناظر الجيش المصري، وله جلالة وشهرة ، أصله نصرانيا ثم أسلم ، ولد سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢م ، ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢م . (اليافعي)بردي، عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (المتوفى: ٧٦٨هـ) : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق خليل المنصور، لناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، جـ ٤ / ٢١٤ . المقريزي : الخطط ، جـ ٣ / ٢٦٤ . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ٩/ ٢٩٥ .

[٥] الخطط المقريزية: جـ٣/١٣١.

متولي القاهرة[١]، ومتولي مصر[٢]،ببث الأعوان في القاهرة ومصر لردّ الحمير والجمال التي تنقل التراب إلى الكيمان[٣]، وألزمهم بإلقاء التراب بناحية بولاق، ونودي في القاهرة ومصر، من كان عنده تراب فليرمه بناحية بولاق وفي الأماكن التي قد علا عليها الماء، فاهتمّ الناس من جهة زيادة الماء اهتماماً كبيراً ،خوفًا أن يخرق الماء ويدخل إلى القاهرة، وألزم أرباب الأملاك التي ببولاق والخور والمناشئ، أن يقف كلّ واحد على إصلاح مكانه، ويحترس من عبور الماء على غفلة، فتطلب كلّ أحد من الناس الفعلة من غوغاء الناس لنقل التراب، حتى عدمت الحرافيش[٤]، ولم تكن توجد لكثرة ما أخذهم الناس لنقل التراب ورميه، وتضرّرت الآدر القريبة من البحر بنزرها، وغرقت الأقصاب والقلقاس والنيلة وسائر الدواليب[٥] التي بأعمال مصر، فلما انقضت أيام الزيادة ثبت الماء ولم ينزل في أيام نزوله، ففسدت مطامير[٦] الغلات ومخازنها وشونها، وتحسن سعر السكّر والعسل، وتأخر الزرع عن أوانه لكثرة ما مكث الماء، فكتب لولاة الأعمال[٧] بكسر الترع والجسور كي ينصرف الماء عن أراضي الزرع إلى البحر الملح، واحتاج الناس إلى وضع الخراج عن بساتين بولاق والجزيرة، ومسامحتهم بنظير ما فسد من الغرق، وفسدت عدّة بساتين إلى أن أذن الله تعالى بنزول الماء، فسقط كثير من الدور، وأخذ السلطان في عمل الجسور، واستدعى المهندسين، وأمرهم بإقامة جسر يصد الماء عن القاهرة خشية أن يكون نيل مثل هذا، وكتب بإحضار خولة البلاد، فلما تكاملوا أمرهم فساروا إلى النيل وكشفوا الساحل كله، فوجدوا ناحية الجزيرة مما يلي المنية

---

[١] تولى في اللغة تعني تعهد والتزم، وعليه فالمتولي هو المتعهد والملتزم، والولاة أو المتولي احد المناصب الرفيعة في دولة سلاطين المماليك نسب للعديد من كبار الموظفين كمتولي الحسبة، ومتولي العمائر أو المشد، والصيرفي أو متولي الأموال وغيرها، ومتولي القاهرة هو المسئول عن أمن القاهرة وترتيب امورها الادرية والسياسية، وتنفيذ اومر السلطان بها، ولعل هذا المنصب يشبه الآن منصب المحافظ. للمزيد راجع ابن أيبك : كنز الدرر، جـ ١٠٦/٨.۞ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٥/ ٤٣٨.

[٢] يقصد بمصر المدن الثلاثة السابقة علي بناء القاهرة، وهو منصب أشبه بمنصب المحافظ، ومهمة من يتولاه حفظ الأمن وتنفيذ أومر السلطان، في المنطقة التي يحوزها، وقد ذكر المقريزي نصا أن بجانب منطقة السبع سقايات (مكان بالقرب من منطقة السيدة زينب الحالية كان يقع بينها وبين الفسطاط) مكانا مخصصا من قبل متولي القاهرة لحارس وظيفته حراسة المارة المترددين علي القاهرة من مصر العتيقة والعكس. الخطط المقريزية، ٣/ ٢٨٥.

[٣] الكيمان مفردها كوم، وتطلق علي الربوة والمكان المرتفع والتل، وكذلك على محل أقذار بلدة، أكوام الزبل التي تحيط البلدة، وهي المقصودة هنا. للمزيد رينهارت : تكملة المعاجم، جـ ١٦٩/٩.

[٤] حرفوش، يجمع على حرافيش وحرافشة رجل من سفلة الناس والحرافيش: سفلة الناس وأرذلهم، وكان بعضهم يتخذ من التسول والتعرض للناس في الطرقات مهنة وحرفة يتكسب منها . السبكي : معيد النعم ومبيد النقم، صـ٧٦.۞ رينهارت تكملة المعاجم العربية، جـ١٣٥/٣.

[٥] دواليب جمع دولاب، والدولاب آلة لسقي الماء، وهي كلمة فارسية معربة. للمزيد الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ/١٢٦٨م): مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م : صـ١٠٦.

[٦] مطامير، مفردها مطمور، وتعني الدار في باطن الأرض أو حفر تحفر في الأرض يوسع أسافلها يخبأ فيها الحبوب. الهروي: تهذيب اللغة، جـ٢٣٣/١٣.

[٧] ولاة الأعمال: يقصد بهم ولاة الأقاليم.

قد صارت أرضها وطيئة، ومن هناك يخاف على البلد من الماء، فلما عرّفوا السلطان بذلك أمر بإلزام من له دار على النيل بمصر أو منشأة المهرانيّ[١] أو منشأة الكتاب[٢] أو بولاق أن يعمر قدّامها على البحر

---

[١] أنشأها سيف الدين بلبان المهراني ناظر اصطبلات الملك الظاهر بيبرس في سنة ٦٧١هـ- ١٢٧٢م وكانت تقع عند كلية طب قصر العيني ويحدها من الجنوب فم الخليج ومن الشرق الخليج المصري (شارع بورسعيد) ومن الشمال شارع بستان الفاضل ومن الغرب منيل الروضة. وقد كانت من أهم متنزهات مصر في العصرين المملوكي والعثماني وذلك لوقوع الاحتفال بمهرجان وفاء النيل وكسر سد الخليج بها. ظهرت أرض منشأة (منشية) المهراني أول مرة نتيجة انحسار النيل بعد سنة ٥٠٠ هـ/١١٠٦م، وقد عمرت في زمن الدولة الأيوبية حيث أقام القاضي الفاضل عبدالرحيم بن علي البيساني (ت ٥٩٦ هـ/ ١٢٠٠م) جامعا وبستانا عظيما بها، وعمرت الدور حينئذ بجوار الجامع فقيل لها منشأة الفاضل، وكان بستان الفاضل يغذى القاهرة بالعنب والثمار، وظلت المنشأة عامرة حتى طغى النيل عليها فخبت سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م.وقد عين "المقريزي" موقع منشأة المهراني وتحدث عن تعميرها في العصر المملوكي فقال: "أن موضعها فيما بين النيل والخليج وفيها من الحمراء القصوى فوهة الخليج، انحسر عنها ماء النيل قديما وعرف موضعها بالكوم الأحمر من أجل أنه كان يعمل فيها أقمنة الطوب، فلما سأل الصاحب بها الدين بن حنا الملك الظاهر بيبرس في عمارة جامع بهذا المكان ليقوم مكان الجامع الذي كان بمنشأة الفاضل أجابه إلى ذلك وانشأ الجامع بخط الكوم الأحمر، وأنشأ هناك الأمير سيف الدين بلبان المهراني دارا وسكنها وبنى مسجدا فعرفت هذه الخطة به وقيل لها منشأة المهراني، فإن المهراني المذكور أول من ابتنى فيها بعد بناء الجامع، وتتابع الناس في البناء بمنشأة المهراني وأكثروا من العمارة حتى يقال أنه كان بها فوق الأربعين من أمراء الدولة سوى من كان هناك من الوزراء وأماثل الكتاب وأعيان القضاة ووجوه الناس، ولم تزل على ذلك حتى انحسر الماء من الجهة الشرقية فخربت وبها الآن بقية يسيرة من الدور. وذكر "المقريزي" المنشية وعين حدودها وما يجاورها في مواضع أخرى كما ذكرها "القلقشندي" بأنها على فوهة خليج القاهرة حيث السد الذي يفتح عند وفاء النيل مكان كالجزيرة يعرف بمنشأة المهراني، وكان كوما يحرق فيه الآجر يعرف بالكوم الأحمر عدة القضاعي في جملة كيمان الفسطاط، وكان أول من عمر بها الأمير، بلبان المهراني في الدولة الظاهرية بيبرس فنسبت المنشأة هذه إليه". ومن خلال ما ذكر نقول: إن منشأة المهراني تشغل اليوم المنطقة التي تحد اليوم من الغرب بسيالة الروضة ومن الجنوب بميدان ومنتزه فم الخليج اللذين حلا محل فم الخليج المصري، والحد الشرقي يتمثل في خط يصل بين شارع العيون جنوبا حتى أول شارع المنيرة شمالا، والحد الجنوبي يتمثل في شارع بستان الفاضل وما في امتداده أي شارع الدكتور حندوسة (شارع مستشفى اللورد كرومر سابقا) حتى كوبرى القصر العيني (كوبرى محمد علي سابقا) ومن الأعمال العظيمة بالمنشأة ما قام به الأمير شهاب الدين أحمد بن العيني قصرا عظيما يطل على النيل بجوار بستان جاني بك بجوار القبتين في سنة ٨٧١هـ/١٤٦٦م، وكان هذا القصر والبساتين حوله وقبتا جاني بك متنزهات عظيمة للسلاطين والولاة والأمراء والناس جميعا في العصرين المملوكي والعثماني، وقد غلب اسم قصر العيني على المنطقة منذ ذلك الوقت وحتى الآن. للمزيد المقريزي : الخطط، جـ٢/١٧٦.۞ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٣/٣٨١.۞عبد الرحمن زكي، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، القاهرة: ص ٣٧٠- ٣٧١.۞ الششتاوي: متنزهات القاهرة، صـ٣٤.

[٢] عمر أيام الناصر محمد بن قلاوون (٧٤١هـ/١٣٤١م)، فقد أنشأ الناصر، زريبة له قبلي الجامع الطيبرسي في أرض بستان الخشاب، فعمر الأمراء والكتاب الدور الجليلة هناك فقيل لهذه الخطة منشأة الكتاب، وظلت منشأة الكتبة عامرة حتى خربت ضمن ما خرب من خطط القاهرة في الأزمات والمحن التي حدثت ابتداء من سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م، إلا أن تلك المحن لم تستمر طويلا فسرعان ما عاد للقاهرة رونقها بعد ذلك وشمل التعمير أرجاءها وعمر خط منشأة الكتبة من ضمن الخطط التي كانت على النيل عندما حفره المؤيد شيخ ما بين الجامع الناصري وبين جامع الخطيري سنة ٨١٨ هـ/ ١٤١٥م،وموقعها يشغله اليوم الجزء الجنوبي الشرقي من حي جاردن سيتي وجزء من حي المنيرة في المنطقة المحصورة=

زريبة[١]، وأنه لا يطلب منهم عليها حكر، ونودي بذلك، وكتب مرسوم بمسامحتهم من الحكر عن ذلك، فشرع الناس في عمل الزرابي، وتقدّم إلى الأمراء بطلب فلاحي بلادهم وإحضارهم بالبقر والجراريف لعمل الجسر من بولاق إلى منية الشيرج، ونزل المهندسون فقاسوا الأرض وفرضوا لكل أمير أقصابا معينة، وضرب كلّ أمير خيمته وخرج لمباشرة ما عليه من العمل، فأقاموا في عمله عشرين يوما حتى فرغ، ونصبت عندهم الأسواق، فجاء ارتفاعه من الأرض أربع قصبات في عرض ثماني قصبات، فانتفع الناس به انتفاعا كبيرا، وقدّر الله سبحانه وتعالى أن الزرع في تلك السنة حسن إلى الغاية، وأفلح فلاحا عجيبا، وانحط السعر لكثرة ما زرع من الأراضي .... وكان الغرض الأساسي من هذا الجسر حماية القاهرة من الغرق.[٢]

ويستفاد من النص السابق عدة أمور:

١- أن الجسر طريق أو ساتر ترابي يمتد من بولاق وحتى منية الأمراء بشبرا

٢- زمن البناء كان في سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م، وهي السنة التي بلغ النيل فيها ثمانية عشر ذراعاً، وتسعة عشر إصبعا وغرقت الأقصاب والسواقي وانهدم من البساتين والدور، حتى قيل: إنه منذ مائة وثلاثين سنة ما بلغ النيل الحد الذي بلغ هذه السنة وأنه ثبت على البلاد ثلاثة أشهر ونصفا.[٣]

٣- الجسر أحد أهم المنشآت المائية التي تمت في عصر الناصر محمد

٤- الكشف عن العديد من المهن والحرف التي ارتبطت بعمارة الجسور كالمهندسين والخولة، والكشاف وولاة الأقاليم التي تقع الجسور في حيزها ونطاقها الجغرافي.

٥- الكشف عن العديد من الأدوات والآلات المستخدمة في الجسور كالأبقار والجراريف.

٦- اهتمام الدولة بأمر الجسور والمنشآت المائية لا سيما الناصر محمد بن قلاوون.

٧- أن هناك مهن أخرى ثانوية ارتبطت بالجسور والسدود مثل : إقامة الاسواق وما في معناها.

---

=فيما بين شارع الدكتور حندوسة (شارع مستشفى اللورد كرومر سابقا) وشارع بستان الفاضل الذي في امتداده جنوبا، وبين شارع عائشة التيمورية (شارع الوالدة باشا سابقا) وما في امتداه شمالا. الخطط المقريزية، جـ٣/ ٢٣٦ ۞. الششتاوي: متنزهات القاهرة، صـ ٣٩.

[١] الزربية مفرد زرابي، والزريبة في اللغة لها أكثر من مدلول فهي مكتن السبع، ومأوى الأغنام، والزريبة معناها هنا تدابير وقائية، عبارة عن عيدان من الخيزران والقصب وما شاكلهما الغرض منها حماية البيوت والعمائر من خطر الفيضان . الهروي: تهذيب اللغة، جـ١٣/١٣٧.۞ ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، سنة النشر ٢٠٠٠م، جـ٩/٣٢. زرب.

[٢] المقريزي: الخطط، ج٣/ ٢٩٣: ٢٩٥.

[٣] ابن الوردي: عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (المتوفى: ٧٤٩هـ): تاريخ ابن الوردي، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، جـ٢/ ٢٦٧.

٤- الجسر بوسط النيل: من بولاق إلى أنبوبة[١] ( من بولاق إلى إمبابة)

في سنة ٧٣٨ هـ/ ١٣٣٧م، زاد الفيضان عن الحد، وغرقت بعض المناطق ناحية بولاق والجيزة وهدم جامع الخطيري[٢] مما أزعج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون(٧٤١- ١٣٤١م) فبادر باستصدار الأوامر باستدعاء المهندسين من مصر والشام والبلاد الفراتية، فلما اجتمع المهندسون بين يديه من شتى

---

[١] يقصد أمبابة، وقد ذكرها المقريزي في موضع أخر عند حديثه عن نفس الأحداث التي نحن بصددها، بلفظ منبابة، وذكرها محمد رمزي في قاموسه، قال من المدن القديمة، وكانت جزيرة في النيل، وهي الآن مركز قائم بذاته وتتبع محافظة الجيزة إدارياً . . المقريزي: السلوك، جـ٣/٢٤٤. محمد رمزي: القاموس الجغرافي، جـ ٥٦/٤.

[٢] أحد الأثار الدارسة في ناحية بولاق، بناه الأمير عز الدين مملوك شرف الدين أوحد بن الخطيريّ الأمير مسعود بن خطير انتقل إلى الملك الناصر محمد بن قلاون فرقاه حتى صار أحد أمراء الألوف بعدما حبسه بعد مجيئه من الكرك إلى مصر مدّة ثم أطلقه وعظم مقداره إلى أن بقي يجلس رأس الميسرة ومعه أمرة مائة وعشرين فارسًا وكان لا يمكنه السلطان من المبيت في داره بالقاهرة فينزل إليها بكرة ويطلع إلى القلعة بعد العصر كذا أبدًا فكانوا يرون ذلك تعظيمًا له وكان منوّر الشيبة كريمًا يحب التزوّج الكثير والفخر بحيث أنه لما زوّج السلطان ابنته بالأمير قوصون ضرب دينارين وزنهما أربعمائة مثقال ذهبًا وعشرة آلاف درهم فضةً برسم نقوط امرأته في العرس إذا طلعت إلى زفاف ابنة السلطان على قوصون وقيل له مرّة هذا السكَّر الذي يعمل في الطعام ما يضرّ إن يعمل غير مكرّر فقال لا يُعمل إلاّ مكرّرًا فإنه يبقى في نفسي أنه غير مكرّر وكان لا يلبس قباء مطرّزًا ولا مصقولًا ولا يدع أحدًا عنده يلبس ذلك وكان يخرج الزكاة وانشأ بجانب هذا الجامع ربعًا كبيرًا تنافس الناس في سكناه ولم يزل على حاله حتى مات يوم الثلاثاء مستهلّ شهر رجب سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ودفن بتربته خارج باب النصر في سنة ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م، كما أشار المقريزي لهذا المسجد بقوله: "هذا الجامع موضعه الآن بناحية بولاق خارج القاهرة، كان موضعه قديما مغمورا بماء النيل إلى نحو سنة سبعمائة، فلما انحسر ماء النيل عن ساحل المقس صار ما قدّام المقس رمالا لا يعلوها ماء النيل إلّا أيام الزيادة، ثم صارت بحيث لا يعلوها الماء البتة، فزرع موضع هذا الجامع بعد سنة سبعمائة، وصار منتزها يجتمع عنده الناس، ثم بنى هناك شرف الدين بن زنبور ساقية وعمر بجوارها رجل يعرف بالحاج محمد بن عز الفرّاش دارا تشرف على النيل، وتردّد إليها، فلما مات أخذها شخص يقال له تاج الدين بن الأزرق ناظر الجهات وسكنها، فعرفت بدار الفاسقين لكثرة ما يجري فيها من أنواع المحرّمات، فاتفق أن النشو ناظر الخاص قبض على ابن الأزرق وصادره، فباع هذه الدار في جملة ما باعه من موجوده، فاشتراها منه الأمير عز الدين أيدمر الخطيريّ وهدمها وبنى مكانها هذا الجامع وسماه جامع التوبة، وبالغ في عمارته وتأنق في رخامه، فجاء من أجلّ جوامع مصر وأحسنها، وعمل له منبرا من رخام في غاية الحسن، وركب فيه عدّة شبابيك من حديد تشرف على النيل الأعظم، وجعل فيه خزانة كتب جليلة نفيسة، ورتب فيه درسا للفقهاء الشافعية، ووقف عليه عدّة أوقاف منها: دار العظيمة التي هي في الدرب الأصفر تجاه خانقاه بيبرس، وكان جملة ما أنفق في هذا الجامع أربعمائة ألف درهم نقرة، وكملت عمارته في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة، وأقيمت به الجمعة في يوم الجمعة عشري جمادى الآخر، فلما خلص ابن الأزرق من المصادرة، حضر إلى الأمير الخطيريّ وادّعى أنه باع داره وهو مكره، فدفع إليه ثمنها مرّة ثانية، ثم إن البحر قوي على هذا الجامع وهدمه، فأعاد بناءه بجملة كثيرة من المال، ورمى قدّام زريبته ألف مركب مملوءة بالحجارة، ثم انهدم بعد موته واعيدت زريبته." . المقريزي: السلوك، جـ٣/٢٢٥. الخطط، جـ١١٥/٤.

قاع السلطنة، ركب بعساكره من قلعة الجبل إلى النيل، ونزل من الحراقة[١] ومعه المهندسين والخبراء، وخولة الجسور، وتم عمل مسح لشط النيل في تلك المنطقة، وتبين له بعد أخذ رأي أهل الخبرة من ضرورة عمل جسر ما بين بولاق وناحية أنبوبه من البرّ الغربي، ليردّ قوّة التيار عن البرّ الشرقيّ إلى البرّ الغربيّ، وعاد إلى القلعة فكتبت المراسيم إلى ولاة الأعمال بإحضار الرجال صحبة المشدّين، واستدعى شادّ العمائر السلطانية وأمره بطلب الحجارين[٢]، وقطع الحجر من الجبل،

وطلب رئيس البحر[٣] وشادّ الصناعة[٤]، لإحضار المراكب، فلم يمض سوى عشرة أيام حتى تكامل حضور الرجال مع الشادّين من الأقاليم، وندب السلطان لهذا العمل الأمير أقبغا عبد الواحد[٥]، والأمير برسبا الحاجب[٦]، وتم استدعاء والي القاهرة ووالي مصر، وأمرا بجمع الناس وتسخير كل أحد للعمل،

---

[١] الحراقة جمعها حراقات، وهي نوع من السفن الكبرى، أو السفن الحربية، بها أماكن لقذف النار أسبه بالمدافع، وكان هناك نوع من السفن به وسائل وتدابير دفاعية وحربية صنعت خصيصا لحماية السلاطين، لها قبطان يعرف برئيس الحراقة. الجوهري: الصحاح، جـ١٤٥٨/٤. ۞ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٤٣٩/٥.

[٢] الحجار: والحجارين حرفة من الحرف، وتعني الصانع الذي يقوم بقطع الحجارة وتهذيبها بمقاييس معينة ومقادير ثابتة لاستخدامها بغرض البناء والتشييد، وقد ورد لفظ الحجارين في العديد من المصادر التاريخية للدلالة علي حرفة متعلقة بأعمال البناء والعمارة. النويري: نهاية الأرب، جـ١٤٠/٢٩. جـ٨٢/٣٠. ٢٦٥.۞ أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (المتوفى: ٧٤٩هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ: جـ٤٤٨/٣.

[٣] من المناصب والوظائف التي ظهرت في العصر الإسلامي، وكان هذا المنصب يتم اختياره من كبار الملاحين، وهو ما عرف لاحقاً بالربان أو القبطان، وكان يختار من بينهم شيخ أو كبير أو رئيس للملاحين يعرف برئيس البحر، أو الربان، له كافة السلطات على هؤلاء البحارة في النيل أو على البحرين. راجع المقريزي الخطط جـ٤٠٩/٢. رينهارت : تكملة المعاجم، ٥٣/٥.

[٤] رئيس الصناع والحرفيين

[٥] آقبغا، كلمة فارسية، تعني الثور الكبير، وكعادة أسماء أمراء المماليك فقد اشتهروا بالقاب لهم، ونسبوا للتجار الذين جلبوهم، وللسلاطين أو الأمراء الذين تربوا في كنفهم، فاقبغا عبد الواحد ينسب للتاجر عبد الواحد بن بدال الذي قدم به، واعجب به الناصر محمد فاشتراه ولكثرة ما عنده من مماليك، وحظي عنده وعمله من جملة الجمداريّة(كلمة فارسية مكونة من مقطعين وتعني حملة الملابس، او المماليك المختصة بإلباس السلطان والعناية بأمر ملابسه. القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٤٣١/٥) وتقلب في المناصب، فكان مشداً للعمائر وهو صاحب المدرسة بجوار الجامع الأزهر المنسوبة إليه(أثر رقم: ٩٧. ٧٤٠هـ/ ١٣٤٠م)، وولي استادار السلطنة في سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م، وزادت مهابته وقوته في دولة الناصر محمد خصوصاً بعد مصاهرته للناصر، فلما مات الناصر محمد استدار له الزمان وتغيرت أحواله من الرغد إلى الشظف ، وتقلبت به الحوادث حتي مات مقتولاً في محبسة بالإسكندرية سنة، ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م، وكان على حد وصف المقريزي، ظالما متكبّرا جبّارا كثير الطمع، قهر خلائق وأخذ منهم أموالهم بأنواع من الظلم. عفا الله عنا وعنه. للمزيد راجع، المقفى الكبير، المحقق: محمد اليعلاوي، الناشر: دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م، جـ٢/ ١٤٢

[٦] برسبغا أو برصبغا كلمة تركية تعني الثور الفهد، وبرسبغا هو سيف الدين بن عبد الله الحاجب أحد أمراء الناصر محمد بن قلاوون، ولاه الناصر منصب الحجوبية، وكانت بينه وبين بشتاك مناوشات واجبر على أشياء لم يكن يرتضيها، وبعد موت الناصر لم تكن الأمور بينه وبين بعض الأمراء كالأمير قوصون علي ما يرام، وتمت مطاردته، حتى وصل إلى الصعيد فقبض عليه، وسجن وصودرت أمواله ومات مقتولاً في سجنه سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م. الصفدي، صلاح الدين خليل بن=

فركبا وأخذا الحرافيش من الأماكن المعروفة بهم، وقبضا على من وجد في الطرقات وفي المساجد والجوامع، وتتبّعاهم في الأسحار، ووقع الاهتمام الكبير في العمل من يوم الأحد عاشر ذي القعدة، وكانت أيام القيظ، فهلك فيه عدّة من الناس، والأمير أقبغا في الحراقة يستحث الناس على إنجاز العمل، والمراكب تحمل الحجر من الفص الكبير[١] إلى موضع الجسر، وفي كل قليل يركب السلطان من القلعة ويقف على العمل، ويهين أقبغا ويسبه ويستحثه حتى تمّ العمل للنصف من ذي الحجة، وكانت عدّة المراكب التي غرقت فيه وهي مشحونة بالحجارة اثني عشر مركبا، كل مركب منها تحمل ألف أردب غلة، وعدّة المراكب التي ملئت بالحجر حتى ردم وصار جسرا، ثلاثة وعشرون ألف مركب!.

سوى ما عمل فيه من آلات الخشب والسياقات[٢]، وحفر في الجزيرة خليج وطئ، فلما جرى النيل في أيام الزيادة مرّ في ذلك الخليج ولم يتأثر الجسر من قوّة التيار، وصارت قوّة جري النيل من ناحية أنبوبة بالبرّ الغربيّ ومن ناحية التكروريّ أيضا، فسرّ السلطان بذلك وأعجبه إعجابا كثيرا، وكان هذا الجسر سبب انطراد الماء عن برج القاهرة() حتى صار إلى ما صار إليه الآن.[٣].

ومن خلال هذا النص يتضح لنا عدة أمور منها :

١- أن تلك المنشآت معظمها إن لم يكن كلها قائم على سياسة رد الفعل، فمع قوة الفيضان وغرق بعض النواحي، والاضرار الناجمة عن زيادة النيل عن الحد، يضطر النظام الحاكم لإيجاد حل ناجز وعاجل لمواجهة تلك الكارثة.

٢- ضخامة هذا العمل من حيث الموارد والإمكانات، الأمر الذى بدا واضحا في كم المشاركين في انجازه، من مهندسين وخوله وكشاف ومشدين وغيرهم، وكذا عدد المراكب والعمال الذين استغرقهم هذا العمل.

٣- كم الخسائر المادية والبشرية التي كانت تنجم عن الفيضان.

٤- ظهور مهن مرتبطة ببناء الجسور مثل :

أ- رئيس البحر

ب- شاد الصناعة .

٥- جسر شيبين.

---

=أيبك الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ): أعيان العصر وأعوان النصر، المحقق: الدكتور علي أبو زيد، الدكتور نبيل أبو عشمة، الدكتور محمد موعد، الدكتور محمود سالم محمد، قدم له: مازن عبد القادر المبارك، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م ، جـ٦٨٧/١.

[١] نوع من الحجر الجيري المشذب، المنحوت متوسط الحجم، استخدم بكثرة في العمائر الإسلامية، وكان يوضع غالبا في مداميك باللونين الأبيض والأحمر( المشهر) وقد شاع استخدام هذا النوع في الواجهات وغيرها، وتميز بقوتها وجودته ومقاومته لعوامل الرطوبة والحرارة، لذا كان من الأنسب، أن يتم استخدامه في العمائر المائية. للمزيد عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون، صـ ٧٦

[٢] مفردها سريقة وهو سوط يتخذ من جلد البرنيق فرس النهر) وهو ما يطلق عليه اليوم اسم قرباج أو كرباج غير ان الصواب السرياقات. الحميري: الروض المعطار، ٤٦٩.

[٣] الخطط المقريزية: جـ٢٩٥/٣.

شيبين ذكرها ياقوت في معجمه وقال: من قرى الحوف بمصر بين بلبيس والقاهرة، [١] وتعرف بشبين القصر من أعمال الشرقية، كما ذكرها ابن مماتى [٢] كما ذكرها ابن الجيعان فقال: مساحتها ٣٦٨٢ فداناً، وبها رزق، ١٢٤ فدانا....[٣] ويمثلها الآن شبين القناطر، والتي اطلق عليها هذا الاسم نظرا للقناطر التي أنشاها الناصر محمد بن قلاوون بها وهي إحدى مراكز محافظة القليوبية[٤]

يمتد هذا الجسر من شبين القناطر وحتى بنها وذلك في سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م، والسبب في ذلك أن بلاد الحوف الشرقي[٥] لا تروى إلا من بحر أبي المنجا[٦] وكان بتلك الناحية أرض عالية لا تصل إليها الماء، ومنها أرض للأمير بشتاك الناصر[٧] فشكا الأمير المذكور للناصر وكان صهره، فركب الناصر من فوره

---

[١] معجم البلدان، الناشر دار صادر بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م، جـ٣/٣٧٩.

[٢] قوانين الدواوين : صـ ١٥٢.

[٣] شرف الدين يحيى ابن المقر ابن الجيعان(٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م): التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٤م، صـ ١١

[٤] محمد رمزي : القاموس الجغرافي، جـ٢/٣٦

[٥] الحوف في اللغة له اكثر من معنى ومدلول منها الرهط أو الجماعة ومنها القرية، وريف الشرقية يسمى بالحوف، وعدها المقريزي، ٥٢٩ قرية . الخطط المقريزية ١٣٧/١. الزبيدي: تاج العروس، ١٧٤/٢٣، مادة حوف.

[٦] ذكر ابن عبد الظاهر عن بحر أبي المنجا: أن معظم البلاد الشرقية كانت للديوان الخاص وكان أكثرها يشرق في أكثر السنين ولا يصل الماء إليها إلا من البحر السردوسي أو من الصماصم أو من المواضع البعيدة. وكان أبو المنجا اليهودي مشارف الناحية المذكورة فتضرع غليه المزارعون وسألوه في فتح ترعة يصل الماء منها في ابتدائه إليهم. فاتصل ذلك بالأفضل (٥١٥هـ/ ١١٢١م) فأمر بحفر مكان ووقع الاختيار على فم هذا البحر وحفر في يوم الثلاثاء السادس من شعبان سنة ست وخمس مائة. ٥٠٦ هسالم:٢م، وأبو المنجا هو جد بني صفير الحكماء اليهود والذين أسلموا منهم. وركب الأفضل في العشاري وجمعت مشايخ البلاد وأولادها وركبوا في المراكب ومعهم حزم البوص فألقوها في البحر والنيل في ابتدائه فرماها الموج إلى المكان الذي حفر فيه البحر فحضروا، وأقام الحفر فيه سنتين وفي كل سنة تبين الفائدة فيه وغرم عليه أموال عظيمة وتضاعف ارتفاع البلاد فهوّن الغرام عليهم.

ولما عرض على الأفضل كثرة ما أنفق استعظمه وقال: غرمنا هذا المال العظيم والاسم لابن المنجا فغيّر اسمه وسماه البحر الأفضلي ولم يتم ذلك له. ولما ولي المأمون بن البطائحي (٥١٩ هـ / ١١٢٥م) الوزارة تحدث الآمر معه في رؤية فتح هذا الخليج ففتحه وأن يكون له موسماً كخليج القاهرة. فانتدب المأمون عدي الملك أبا البركات بن عثمان وكيله وأمره بأن يسير ويبني على مكان السد منظرة معينة يرى منها السد فعمرت، وجعل له موسماً كخليج القاهرة. بن عبد الظاهر، أبو الفضل عبد الله، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق أيمن فؤاد السيد، القاهرة: الدار العربية للكتاب، ١٩٩٦، ص ١٢٨– ١٣٠.

[٧] بشتاك (كلمة تركية تعني الزعيم) وكان بشتاك من الأمراء المقربين من الناصر محمد، ادناه منه وزوجه إحدى بناته، وكان زائد الأبهة في رفعة وترفع، حتى أنه يعرف العربية ولا يتكلم بها، ولا يتكلم إلا بمترجم، ولما مات بكتمر الساقي ورثه في كل أملاكه، حتى في زوجه أم أحمد، وتقلبت به الاحوال، وكانت بينه وبين قوصون خصومات وعداوه وكذا غيره من الأمراء، واعتقل وقتل في محبسة بالإسكندرية في سنة، ٧٤٢ هـ / ١٣٤٢م، يقول عنه المقريزي: وكان شابا أبيض اللون ظريفا مديد القامة نحيفا، خفيف اللحية كأنها عذار، على حركاته رشاقة حسن العمة يتعمم الناس على مثالها، وكان يشبّه بأبي سعيد ملك العراق إلّا أنه كان غير عفيف الفرج زائد الهرج والمرج لم يعف عن مليحة ولا قبيحة، ولم يدع أحدا يفوته، حتى يمسك نساء الفلاحين وزوجات الملاحين. وهو صاحب الأثار المتعددة منها حمامه بسوق السلاح، وجامعه بدرب الجماميز، وقصره بشارع المعز وغيره. المقريزي: الخطط، جـ٣/ ٦٦. محمد سالم : خطط القاهرة في ظاهرها الجنوبي الغربي، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بالقاهرة، ٢٠١٤م، صـ ٣٠١.

ومعه الخبراء من المهندسين والخوله، وغيرهما واستقر الأمر على عمل الجسر المذكور، وعمل عليه القناطر لحبس الماء،( لذلك عرفت بشبين القناطر) واستغرق هذا العمل ثنتا عشر الف رجل ١٢ ألف عامل، ومائتي جرافة، وتم الانتهاء من عمارته في ثلاثة أشهر، وبلغت جملة ما انفق عليه، اربعين الف درهما في اليوم، اي ما يعادل ، ثلاثة ملايين وستمائة ألف درهما، ٣٦٠٠٠٠٠ ، أو ٣٠٠ ألف دينار.[١]

٦- الجسر من قليوب إلى دمياط.

أحد أهم الجسور العسكرية التي تم انشائها في العصر المملوكي البحري، انشأه السلطان بيبرس الجاشنكير(٧٠٩هـ / ١٣١٠م) في سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٩م وكان الغرض من هذا البناء غرض عسكري بحت، حيث وردت الأخبار إلى الجاشنكير، بأن الفرنج اردوا غزو دمياط، بقيادة ملك قبرص واعدوا لهذا الغرض يقال ستين قطعة حربية وقيل بل سبعين[٢] فاتفقت كلمة الأمراء بعد المشاورة على ضرورة عمل هذا الجسر لمنع الفرنجة من الوصول إلى دمياط، وعهد الجاشنكير لأحد كبار الأمراء وهو أقوش الحسامي [٣] بتلك المهمة، واستغرق بناء هذا الجسر ثلاثمائة جرافة ٣٠٠ جرافة، وستمائة ٦٠٠ رأس من من البقر، وثلاثين ألف ٣٠ ألف رجلاً، وتم الفراغ من تشييده في غضون شهر وبلغ عرضه اربع قصبات [٤] وطوله يومين [٥] أي ما يعادل تقريبا،٤ × ٣،٦ذراعا = أكثر من ٢٥ذراعاً وبالمتر تقدر بحوالي ١٦م ١٦م عرضا وطولا، يساوي ٨٩ كم وقيل ١٧٨كم على اعتبار أن المرحلة تساوي أكثر من ٨٩كم و ٤٤كم في بعض الأقوال. [٦] ولو نظرنا الآن للمسافة ما بين قليوب ودمياط عبر النيل من خلال بنها ومنها إلى زفتي بمحافظة الغربية ثم المنصورة انتهاء بدمياط وهي مسافة تقدر بحوالي ١٧٤ كم حالياً.

---

[١] المقريزي: الخطط، جـ٣/٣٠٠. السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٣/٢٥٨.

[٢] عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): رحلة ابن خلدون، تحقيق، محمد بن تاويت الطَّنجي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م،جـ٥/ ٥١٨.

[٣] أقوش الرومي، الأمير جمال الدين، أحد المماليك المنصوريّة قلاوون، تنقّل في الخدم إلى أن صار من الأمراء الألوف بديار مصر. فلمّا تحرّك الملك الناصر محمد بن قلاوون بالكرك يريد أخذ السلطنة، جرّد السلطان الملك المظفّر بيبرس أقوش هذا ليحفظ طريق السويس، خشية من تسحّب العسكر إلى الناصر. فأقام هناك أيّاما. وكان مهابا يخافه مماليكه خوفا شديدا. فوثب عليه سبعة من مماليكه وقتلوه وهو نائم، وأخذوا جميع ما معه وساروا إلى الملك الناصر، وذلك في شعبان سنة تسع وسبعمائة، ( ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م). للمزيد المقريزي: المقفى الكبير، جـ٢/١٣٢.

[٤] انظر عن القصبة، النويري: نهاية الأرب، جـ٨/٢٤٩.

[٥] المقريزي: الخطط، جـ٣/٣٠١

[٦] علي جمعة محمد: المكاييل والموازين الشرعية، دار القدس، ط٣، ٢٠٠١م، صـ ٥٦

**جسر الخليلي:**

أحد الجسور التي أقيمت في عصر سلاطين المماليك، ويحمل اسم أحد الأمراء الا وهو الأمير جهاركس الخليلي[١] وكان الخليلي أحد الأمراء المهتمين بالعمارة، فهو صاحب الخان المشهور والمعروف إلى الآن بالقاهرة بجوار الأزهر ومشهد الإمام الحسين رضي الله عنه[٢] ومن أعماله بخلاف هذا الجسر، مشروع مائي عبارة عن قناة تحمل الماء من الخليج إلى ميدان تحت القلعة ( الرميلة أو ميدان صلاح الدين) وعمل لها حوضا ذكر ابن تغري بردي أنه لا زال على حالته دون ماء حتى زمنه[٣] ومن مشاريعه ايضا الطاحون التي تعمل بقوة دفع الماء، وتطحن في اليوم ما يزيد عن خمسة أردب من القمح [٤]

وأصل هذا الجسر الذى نحن بصدده كان أحد المشاريع المائية، التي اسست في عصر الناصر محمد بن قلاوون، وكان الغرض منه حفظ غرب القاهرة، وقد نوه المقريزي إلى هذا المشروع بقوله:

" هذا الجسر فيما بين الروضة من طرفها البحريّ وبين جزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطى، تجاه الخور، وكان سبب عمله أن النيل لما قوي رمى تياره على برّ القاهرة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاون، وقام في عمل الجسر ليصير رمي التيار من جهة البرّ الغربيّ كما تقدّم ذكره، انطرد الماء عن برّ القاهرة وانكشف ما تحت الدور من منشأة المهرانيّ إلى منية الشيرج، وعمل منجك الجسر الذي مرّ ذكره ليعود الماء في طول السنة إلى برّ القاهرة، فلم يتهيأ كما كان أوّلا، وجرى في الخليج الذي احتفره تحت الدور من موردة الحلفاء بمصر إلى بولاق، وصار تجاه هذا الخليج جزيرة، والماء لا يزال ينطرد في كلّ سنة عن برّ القاهرة إلى أن استبدّ بتدبير مصر الأمير الكبير برقوق" [٥]

ويستفاد من هذا النص :

١- أن هذا الجسر من جزيرة الروضة وحتى جزيرة أروى [٦] ( جزيرة الزمالك)

---

[١] الأمير سيف الدين جهاركس بن عبد الله اليلبغاوي الخليلي أحد أمراء الظاهر برقوق (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م) وهو صاحب الخان المعروف بشمال القاهرة الفاطمية والمعروف بخان الخليلي، وقد مات قتلاً في سنة ٧٩١ هـ/ . للمزيد المقريزي: الخطط، جـ٢/٢٨٨.

[٢] المقريزي: الخطط، جـ٣/١٧١.

[٣] النجوم الزاهرة، جـ ١١ / ٢١٠.

[٤] ابن تغري بردي: المنهل الصافي، جـ٤/٢٠٦.

[٥] الخطط المقريزية: جـ٣/ ٢٩٨.

[٦] قلت: الجزر بالنيل عرفت بالجزيرة الوسطى، لتوسطها بين الروضة وبولاق، وبين القاهرة والجيزة وقد انحسر عنها الماء بعد سنة ٧٠٠ هـ / ، ومع مرور الزمن عمرت تلك الجزيرة وصارت من أحسن متنزهات القاهرة، لكن في حال الفيضان كانت الماء يغمرها حتى أن الناس كانت تضطر للتنقل عبر تلك المنازل بقوارب وما شابه، وظلت تلك الجزيرة عامرة حتى تلاشت بعد عام ٨٠٦ هـ، وقد أشار الأستاذ محمد رمزي لتلك الجزيرة فقال هي المعروفة باسم جزيرة بولاق لوقوعها تجاها، وتعرف اليوم باسم الجزيرة أو جزيرة الزمالك وهي من أفضل مساكن القاهرة، بها العمارات الفاخرة والقصور الزاهرة، وهي من أكبر الأماكن في مصر المعدة للرياضة أ. هـ. قلت : وهي الآن الجزيرة بها النادي الأهلي وحي الزمالك وبرج القاهرة وغيرها من الأماكن الحيوية . المقريزي: الخطط، جـ٣/٣٢٦. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، صـ ١٢٦، حاشية رقم (٢)

٢- تم تشييد هذا الجسر ابتداء في عصر الناصر محمد ولم يكتمل ثم اعيد البناء في عصر الظاهر برقوق وتم الفراغ منه في سنة ٧٨٤ هـ / .وأستمر العمل فيه قرابة ستين يوماً، من بداية شهر ربيع الأول وحتى نهاية شهر ربيع الآخر [١]

٣- بحسب ما ذكره المقريزي: فإن طول هذا الجسر يبلغ ثلاثمائة قصبة وباعتبار أن القصبة أكثر من ستة أذرع فيبلغ طول هذا الجسر ٣٠٠× ٣٤١م = ما يقرب من ١١ كم تقريبا وعرضه ١٠× ٣٤١= ٥،٣كم أو يزيد قليلا او ينقص علي حسب تقدير المقاييس آنذاك[٢] ، وأقام لها أعمدة من خشب السنط طول العمود ثمانية أذرع ٨ × ٣٤١= ما يقرب من ٣م وجعل لها روابط خشبية عبارة عن كمر من أفلاج النخيل.

وقد أشار الاستاذ محمد رمزي لهذا الجسر بقوله:" **هذا الجسر ذكره المقريزي في خططه،** باسم جسر الخليلي، وملخص ما قاله أن الناصر محمد لما عمل جسرا من بولاق إلى أنبوبه [٣] انطرد الماء عن بر القاهرة وأنكشف ما تحت الدور من منشأة المهراني إلى منية الشيرج ( من القصر العيني إلى شبرا الخيمة) فأمر الناصر بعمل جسر بين الروضة وجزيرة أروى، من خلاله يمر الماء تحت سيالة[٤] الروضة، ثم في

---

[١] ابن تغري بردي: المنهل الصافي، جـ٤/٢٠٦

[٢] عن المقاييس راجع القلقشندي حيث ذكر أن القصبة تكافئ ستة أذرع وثلثين، والذراع ما بين ٥٠ سم إلى أكثر من ٦٠سم فتكون القصبة تقريبا تساوي ٣٤١سم في المتوسط . صبح الأعشى: ١٥٧/٢. علي جمعة: المكاييل والموازين، صـ ٥٠.

[٣] سبق الحديث عنه

[٤] سال الماء في مسيله ويقال: نزلنا بواد نبته ميال وماؤه سيال، ماسورة، مجرى على الحائط يسيل فيه الماء من السطح إلى الأرض، ظهرت الحاجة الملحة للاهتمام بحفر سيالة الروضة في زمن الدولة الإخشيدية (٣٢٣ -٣٥٨هـ /٩٣٥ - ٩٦٩م) ففي سنة ٣٣٦ هـ/٩٥٠م جف النيل في فرع سيالة الروضة، واضطر سكان الفسطاط أن يجلبوا ماء النيل من فرع الجيزة، لذلك تولى الأستاذ كافور الإخشيدي(٣٥٥-٣٥٧ هـ/٩٦٦-٩٦٨م ) مقدم أمراء الدولة لأنوجور بن الإخشيد (٣٤٤-٣٤٩ / ٩٤٦-٩٦٠م) حفر الروضة فتم حفره ودخل الماء إليه وانتفع به أهل الفسطاط ،ومع الزمن كان النيل ينحسر عن البر الشرقي للفسطاط إلى الغرب لذا كانت تتكشف أراضي جيدة على ساحل مصر الفسطاط وتكثر الرمال بسيالة الروضة ويضعف جريان الماء بها ويتحول إل الفرع الغربي ناحية الجيزة، ونظرا لتراكم الرمال بسيالة الروضة سنويا صار قاعها يخاض بالأقدام، وكانت لا تملأ إلا في وقت الفيضان فقط.

وقد حدث أن انحسر الماء عن ساحل مصر القديمة قبل سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٤م وصار يقل في زمن اختراق النيل بعد ذلك حتى صار الطريق إلى المقياس يابسا، فلما كان في سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م خاف السلطان الملك الكامل محمد (٦١٥ - ٦٣٥هـ/١٢١٨ -١٢٣٧م) من تباعد النيل عن العمران بمصر فأمر بحفر فرع الروضة من جهة دار الوكالة إلى صناعة التمر الفاضلية، واستمر العمل فيه مدة ثلاثة أشهر من مستهل شهر شعبان إلى آخر شهر شوال في سنة ٦٢٨ هـ/ ١٢٣١م، حتى صار الماء يحيط بجزيرة الروضة دائما بعد أن كان فرع الروضة جدولا رقيقا، وقد كان هذا العمل بمثابة مشروع قومي فقد ذكر المؤرخون أن الملك الكامل عمل فيه بنفسه وألزم الأمراء وأعيان الناس بالحفر إلى جانب عامة أهل القاهرة، وقد تم توزيع نفقات الحفر على الدور التي تقع بالقاهرة ومصر والروضة، وكان الاهتمام الأعظم بفرع سيالة الروضة على يد الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧- ٦٤٧هـ/١٢٣٩ -١٢٤٩م) وذلك لبناء قلعته الصالحية جنوب جزيرة الروضة، فأراد أن يحيط الماء بالجزيرة طول العالم، فغرق عدة مراكب محملة بالحجارة في فرع النيل الغربي تجاه الجيزة حتى يتحول الماء إلى فرع الروضة، وسار في كل سنة يحفر فرع الروضة بجنده ونفسه، وكان يتم طرح الرمل =

السيالة التي تحت بولاق ويبقي الماء تحت الشاطئ طوال أيام السنه، وعلي كل فقد أهمل المشروع بسبب أنه لم يؤدي الغرض الذي أنشيء له فتلاشى أمره وأصبحه كأن لم يكن، ولكن اللافت للنظر أنه بسبب تحول مجرى ماء النيل من الغرب إلى الشرق في عهد الخديوي إسماعيل أصبح هذا المكان من بولاق إلى الجزيرة في مجرى نهر النيل![1]

وهناك العديد من الجسور، وقد نوه ابن مماتى إلى أمر مهم وهو أن معظم تلك الجسور في الوجه البحري، وأن الوجه القبلي مع قلة ما فيه ذهبت معالمها ودرست [2] قلت: ولعل مرد هذا إلى شدة التيار في الصعيد واستحالة صمود الجسور والسدود أمامه

---

=في البقعة التي عمر فيها الملك الناصر محمد بن قلاوون جامعة الذي سمى الجامع الناصري الجديد على النيل، ونتج عن ذلك أن شرع خواص السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بالعمارة على ساحل مصر من موضع الجامع الناصري الجديد إلى المدرسة المعزية . الزبيدي: تاج العروس، ٢٤٥/٢٩. رينهارت تكملة المعاجم العربية، ٢١٢/٦. النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ١٦٥/٢٩. محمد الششتاوي: متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، صـ ٢١.

[1] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، صـ١٢٦ حاشية رقم (٣)

[2] قوانين الدواوين، صـ ٢٠٦

**المبحث الثاني : ذكر القناطر.**

القناطر مفردها قنطرة، والقنطرة في اللغة لها معان عده، منها الجسر، وكل ما يعبر عليه من ضفة إلى أخرى، سواء أكانت من الخشب أم من الحجارة أم من غيرهما، وكل ما ارتفع من البنيان يقال له قنطرة،[١] والقنطرة بناء مقوس أو معقود على ظهر مجري مائي له العديد من المهام منها التحكم في مرور الماء من خلال فتحات تكون أسفل القنطرة، ومنها تسهيل عملية المرور على ضفتي المجري المائي.

وقد ذكر المقريزي المتوفى في سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤١م، أن عدد القناطر على الخليج المصري حتى زمنه أربع عشرة قنطرة، وقنطرة على فم الخور، وواحدة على خليج الذكر [٢]، وخمسة علي الخليج الناصري، وواحدة على بحر أبي المنجا، والعديد في ناحية الجيزة [٣] .

والحق أن القناطر كانت من أهم المشاريع التي عنيت بها الدولة خصوصاً دولة سلاطين المماليك البحرية، فجل هذه القناطر بُني في عصر دولة المماليك، فمن بين القناطر التي انشئت على ظهر الخليج

---

[١] مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ/١٤١٤م ): القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، صـ ٤٦٦.

[٢] خليج الذكر أحد الخلجان أو المجاري المائية الصناعية السابقة على فترة دولة المماليك، حفر في عهد كافور الإخشيد(٣٥٥-٣٥٧هـ/٩٦٦-٩٦٨م) وكان أصل هذا الخليج ترعة يدخل منها الماء إلى بستان المقس ( منطقة ما بين ميدان الأوبرا وميدان رمسيس) ثم وسعه الملك الكامل الأيوبي(٦١٥-٦٣٥هـ/١٢١٨-١٢٣٨م) فلما زال البستان المقسي في أيام الخليفة الظاهر وجعله بركة قدام منظرة اللؤلؤة صار الماء يدخل إليها من هذا الخليج وكان يفتح قبل الخليج الكبير وسمي بذلك لأن أميراً من أمراء الملك الظاهر ركن الدين بيبرس كان يعرف بشمس الدين الذكر وكان له شأن في حفره فعرف به، ويستفاد مما ذكره المقريزي عن هذا الخليج ومما ذكره عنه ضمن كلامه عن ميدان القمح أن هذا الخليج كان في أصله ترعة حفرت لأول مرة أيام كافور الإخشيدي لري بستان المقس والبساتين الواقعة غربي الخليج. وكان فم هذا الخليج أول ما حفر على النيل مباشرة عند النقطة التي مثلها الآن تلاقى شارع قنطرة الدكة الذي كان مسار الخليج بشارع عماد الدين الذي كان يمثل مسار مجرى النيل، وكان الخليج يمتد بطول شارع قنطرة الدكة وما في امتداده حتى مصبه آنذاك في الخليج الكبير أمام منطقة الخرنفش حالياً. وفي العصر المملوكي، أمر الناصر محمد كذلك بتوسيع خليج الذكر ومده إلى الخليج الكبير فلما حفر آخر جمادى الآخرة سنة ٧٢٤هـ وجرى فيه الماء، كادت القاهرة أن تغرق فاضطر الملك الناصر الى تركه فأمر بحفر الخليج الناصري بدلاً منه. وقد أدرك " المقريزي" آثار هذا الخليج وقد نبت فيه القصب الفارسي وكذلك أخبره الشيخ المعمر حسام الدين حسين بن عمر الشهزوري بأنه كان يسبح في خليج الذكر وأراه آثاره. وقد اهتم بهذا الخليج مرة أخرى الأمير أزبك بن ططخ عندما أعاد حفر بركة بطن البقرة فسميت باسمه، لذلك حفر أزبك خليج الذكر مرة أخرى بعد أن تقلص حجمه وأصبح يخرج من الخليج الناصري من عند تقابله بشارع قنطرة الدكة وتصب في بركة بطن البقرة (الأزبكية) وعرف حينئذ باسم خليج الأزبكية، كما جدد أزبك قنطرة الدكة التي كانت عليه. للمزيد المقريزي : الخطط، جـ٣/٢١٥.جـ٣/٢٢٤. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٤/٤٥. عبد الرحمن زكي: موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، القاهرة: مكتب الأنجلو المصرية، ١٩٨٧، ص١٠٠. الششتاوي: متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، صـ٢٢٠.

[٣] المقريزي : الخطط، جـ٣/ ٢٥٩

واحدة في العصر الفاطمي، وأربع في العصر الأيوبي، والباقي في عصر دولة المماليك، واحدة في عصر الظاهر بيبرس، وسبعاً في عصر الناصر، وواحدة في عهد خلفاء الناصر[١]

وسأكتفي بذكر نماذج لبعض هذه القناطر.

١- *قنطرة السد.*

علي الرغم من كونها من المنشآت الأيوبية، غير أنها تعد واحدة من أهم القناطر في العصر المملوكي، أنشأها الصالح نجم الدين أيوب،(٦٣٥-٦٤٨هـ/ ١٢٣٧-١٢٥٠م) في سنة ٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥م.

وكان الغرض من بناء تلك القنطرة أمرين.

الأول: أن تكون معبراً للمارة من شرق الخليج وغربه حيث موقع الحمراء القصوى[٢] وبستان الخشاب.

الثاني: حجز ماء النيل حال الفيضان، حيث يقام سد ترابي جوار القنطرة، فإذا بلغ الماء ستة عشر ذراعاً، فتح هذا السد باحتفال رسمي عظيم، ويمر الماء في الخليج؛ فتملأ منه صهاريج مدينة القاهرة وبركها، وتروى منه بساتينها، كما تروى الأراضي الزراعية الواقعة على جانبي الخليج ؛حتى نهايته الشمالية في مديرية الشرقية.[٣]

وكانت تلك القنطرة معقودة بعقدين متجاورين، ثم طرأ عليها تعديل في العصر العثماني فصارت ذات عقد واحد، وقد ظلت تلك القنطرة كأثر وشاهد حضاري على التطور العمراني والحضاري للقناطر على ظهر الخليج المصري حتى ردمت في سنة ١٨٩٩م، حيث ردم الخليج المصري(شارع بورسعيد) فردمت معه.

ولا يزال بحي السيدة زينب شارع يعرف باسم شارع السد، كان عليه باب يغلق عليه، تمت أزالته، ففي محاضر لجنة حفظ الأثار العربية لسنة، ١٨٨٧-١٨٨٨م ورد ذكر هدم هذا الباب لضرورة توسيع الشارع[٤].

---

[١] القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٣/٣٣٢. محمد كمال السيد، أسماء ومسميات، صـ٨٩.

[٢] مكان كان لبني الأزرق، الذين حلوا إلى مصر في ركاب جيش عمرو بن العاص، وكذا بني يشكر والمنسوب لهم جبل يشكر، الذى عليه الجامع الطولوني، وقد كانت تلك البقعة مقرا لعسكر العباسيين، وبني عليها مدينة العسكر ثاني عاصمة لمصر الإسلامية، وقد ذكر المقريزي بعض الأماكن التي كانت تنتمي لتلك البقعة مثل خط الخليج من قناطر السباع وحتى قنطر السد محل الذكر أي من ميدان السيدة زينب، وحتى فم الخليج عند شارع ابراهيم باشا أو مدرسة الطب سابقا، وبأخرها قلعة الكبش وجبل يشكر، الذى عليه جامع ابن طولون، موقعها الآن جنوب شرق حي المدابغ وجنوب حي زين العابدين بالسيدة زينب . القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٣/٢٧٣. المقريزي: الخطط، جـ ١٠٢/٢. جـ١٧٢/٢.

[٣] المقريزي: الخطط، جـ٣/٢٦٠. عبد الرحمن زكي: القاهرة في ألف عام، صـ٢١٩.

[٤] محاضر لجنة حفظ الأثار لسنة ١٨٨٨م، صـ ٧١

صورة تقريبية للقنطرة في العصر المملوكي. نقلا عن كتاب وصف مصر، وصورة أخرى للخليج المصري. نقلا عن حسن قاسم المزارات.

**قناطر السباع.**

أحد أهم القناطر علي الخليج المصري، تأتي بعد قنطرة السد مباشرة، وتقع في ميدان السيدة زينب الحالي.

الموقع:

في ميدان السيدة زينب الحالي، كانت تصل بين الحمراء القصوى من جهة وجنان الزهري من جهة أخرى.

المنشئ:

أنشأها السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري[١] (٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م) ونصب عليها رنكه المعروف بالسبع، ومن أجل ذلك عرفت بقناطر السباع.[٢]

صور نادرة التقطت للقناطر قبل هدمهما توضح رنك السباع على القنطرة.

التطور التاريخي لقناطر السباع في عصر مماليك البحرية:

كما سبق واشرت فإن تلك القناطر تعد من أهم أعمال البناء العظيم الظاهر ١٣٣٥م،لذى أراد أن يعمر تلك المنطقة فأنشأ تلك القنطرة لربط ضفتي الخليج، ثم جاء الناصر محمد بن قلاوون بعد الظاهر بأكثر من ستين سنة ليهدم تلك القناطر ويعيد بناءها مرة أخرى، والحق أن الناصر كان محباً للعمارة والفنون، وقد نوهت إلى هذا سابقا، اضف لهذا أن النفس جبلت علي الغرور والكبر وكان الناصر يكره أن ينسب مثل هذا العمل الضخم لغيره، فعهد الناصر لرجل يقال له: علاء الدين علي بن حسن المرواني، [٣]كان كاشفا

---

((١)) البندقدار: كلمة فارسية مكونة من مقطعين بندق ودار بمعني ممسك، ووظيفته الإمساك بجروة البندق خلف السلطان، وعرف الظاهر بالبندقداري، نسبة لأستاذه الأمير علاء الدين البندقداري الصالحي، صاحب الخانقاة المشهورة بزاوية الآبار بالسيوفية، وقد دفن بها في سنة ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م . القلقشندي: صبح الأعشى، ٥/٤٣١. النويري: نهاية الأرب، جـ١٢٨/٣١.

((٢)) المقريزي: الخطط، جـ٣/٢٦٠.

[٣]علي بن حسن المرواني أحد الولاة في عصر الناصر محمد بن قلاوون، كان ظالما غشوما فتاكاً، أحد العربان الذين تزيوا بزي الأمراء، ومع هذا فكان شديد القسوة علي أبناء جلدته فقد ذكر المقريزي أنه كان يبتكر اساليب جديدة في التعذيب والتنكيل، منها ضربه للخبازين والطحانين بالمقارع وغيرها من الموبقات وقد مات في رجب سنة ٧٤٠ هـ/ ١٣٤٠، بعد=

فرقاه الناصر إلى رتبة والي القاهرة وقام المرواني بهدم قناطر السباع بغرض التوسعة، فهدمها ووسع فيها فزادت عما كانت عشرة أذرع أي ما يعادل أكثر من خمسة أمتار [١]

والحق أن الناصر لما أنشأ الميدان الناصري (حي جاردن سيتي) في مكان بستان الخشاب وكان طريق الناصر من القلعة إلى الميدان من تحت تلك القنطرة التي قال: إنه لا يعجبه ارتفاعها، والحقيقة أن الناصر كانت لدية رغبة في محو ذكر من قبله، على حد وصف المقريزي الذي قال " ويقال أنه أشاع هذا، والقصد إنما هو كراهته لنظر أثر أحد من الملوك قبله، وبغضه أن يذكر لأحد غيره شيء يعرف به، وهو كلما يمرّ بها يرى السباع التي هي رنك الملك الظاهر، فأحب أن يزيلها لتبقى القنطرة منسوبة إليه ومعروفة به، كما كان يفعل دائما في محو آثار من تقدّمه وتخليد ذكره، ومعرفة الآثار به" [٢]

وزاد في عرضها كما سبق ذكره وجعلها أقل ارتفاعاً، وذلك في سنة ٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م ،وأزال السباع الحجرية التي كانت عليها، فلما تكلم العامة وبلغه ذلك أمر بإعادة السباع الحجرية مرة أخرى!

وقد عمرت تلك المنطقة في عصر الناصر وعرفت بخط قناطر السباع وبنيت فيه العديد من المساجد والمدارس والعمائر المتنوعة

وقد ظلت تلك السباع على حالها حتى شوهها أحد المتشددين كما شوه وجه أبو الهول !! [٣]

وقد وصف لنا جومار المصاحب للحملة الفرنسية شكل تلك القنطرة فقال:

لا توجد أية ملاحظات على القناطر على ظهر الخليج، فجميعها ذات عقد أو عقدين قوطيين، ضيقة العرض، مرتفعة الأسوار جدا، وقد حفر شكل السبع على قناطر السباع، على شكل الأفاريز كلها، وهي قنطرة مزدوجة تتكون من قنطرتين، تتعامد إحداهما على الخليج في مواجهة مسجد السيدة زينب، والأخرى أكثر عرضا وتنحرف في اتجاه شارع القلعة (محمد علي).[٤]

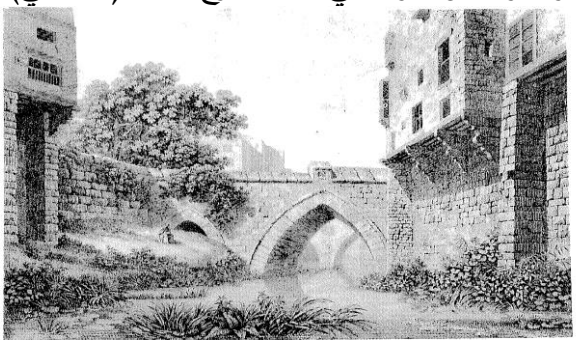

=مقاساة أمراض شنيعة مدة سنة وكان سفاكا أفاكا ظلوما غشوما اقترح في ولايته عقوبات مهولة: منها نعل الرجل في رجليه بالحديد كما تنعل الخيل ومنها تعليق الرجل بيديه وتعليق مقابرات العلاج في رجليه فتتخلع أعضاؤه ويموت وقتل خلقا كثيرا من الكتاب وغيرهم . المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٣/١٩٩. جـ٣/ ٢٨٩.

[١] المقريزي: السلوك، جـ٣/١٨٩.

[٢] الخطط المقريزية: جـ٣/٢٦٠.

[٣] المقريزي: الخطط، جـ٣/٢٦١

[٤] موسوعة وصف مصر، دار الشايب للنشر، ط٣/ ١٩٩٤م، جـ ١٠/ ١٨٢.

تصور للقنطرة نقلا عن كتاب وصف مصر ( اللوحة ٢٧ شكل ٩). وهذه صورة أخرى لقنطرة درب الجماميز نقلا عن حسن قاسم، ويؤخذ من كلام جومار ما يلي:

١- أن القناطر ظلت محتفظة بوجودها حتي رحيل الحملة الفرنسية عن مصر .

٢- كانت جل القناطر معقودة إما بعقد واحد أو بعقدين مدببين كما هو مبين بالصورة.

قنطرة ابو المنجا:

إحدى القناطر المهمة في عصر سلاطين المماليك والتي أنشاها السلطان الظاهر بيبرس، أنشئت تلك القناطر في سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م، وعرفت بهذا الاسم نسبة للبحر الذى تقع عليه في منطقة ميت نما بالقليوبية، وتم الفراغ من بناء تلك القناطر في سنة ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م، ذكرها المقريزي في خططه فقال: من اعظم قناطر مصر، أنشأها السلطان، في سنة، ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م، وتولى عمارتها عز الدين أيبك الأفرم[١] وفي كتابه السلوك، نوه عنها حيث ذكر أن السلطان أنشأ قنطرة علي بحر أبي المنجا في السنة المذكورة ناحية ببسوس [٢][٣]

ولعل ما يؤخذ على المقريزي أن عملاً بتلك الضخامة والقوة لم ينل القدر الكافي من الاهتمام من مؤرخ بحجم وعظم المقريزي، فلم يمدنا بشيء عن وصفها المعماري، ولا عن تاريخ تلك القناطر ولم يحدد موضعها بالشكل القاطع.

علي كل لعل المقريزي ركز علي القناطر الموجودة داخل القاهرة والتي راءها رأي العين وأغفل ما سواها!

وقد أشار إليها ابن تغري بردي فقال وهي من المباني العجيبة من الحسن والاتقان[٤] وذكر في موضع آخر أن الظاهر وقف على تلك القناطر وقفاً يعمر ما دثر منها ويكون لخدمة تلك القناطر أبد الدهر[٥]

وقد رتب الظاهر حرسا خاصا وخوله مهمتهم القيام بأمر تلك القناطر، واختارهم من إحدى القبائل التي كانت تقطن منطقة قليوب الا وهم الشواربة، وهي إحدى القبائل العربية التي استوطنت مصر تنقل جدهم الأعلى إلى الشام، ثم إلى مصر، وكان استقراره بمصر وذريته في القرن السابع الهجري، فنزل على بحر أبي المنجا، وأقام هناك، كما كانت له ذرية بقليوب، وقد عهد الظاهر لتلك العائلة بحماية القناطر والقيام بخدمتها، وأنعم عليهم بقطعة أرض كبيرة عرفت برزقة [٦]الشواربية[٧]وقد ذكر الجبرتي نصاً يدل على ان

---

[١] الخطط المقريزية: جـ٣/٢٦٩.

[٢] باسوس الحالية. أنظر محمد رمزي جـ٢/٥٥.

[٣] المقريزي: السلوك،

[٤] النجوم الزاهرة، جـ٧/١٤٨.

[٥] النجوم: جـ٧/ ١٤٩.

[٦] يقصد بها المنح والهبات، وراتب الجند. رينهارت: تكملة المعاجم العربية، جـ٥/١٢٩.

[٧] للمزيد ابن شاهين، زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين الظاهريّ الملطى ثم القاهري الحنفيّ (المتوفى: ٩٢٠هـ/١٥١٧م): نيل الأمل في ذيل الدول، المحقق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: المكتبة=

تلك العائلة ظلت علي حالها منذ زمن الظاهر وحتى زمن الجبرتي حيث يقول: " وفيه[١] وقع جسر بحر أبي المنجا بالقليوبية فعينوا له أميرا فأخذ معه جملة أخشاب ونزل وصحبته ابن أبي الشوارب شيخ قليوب وجمعوا الفلاحين ودقوا له أوتاد عظيمة وغرقوا به نحو خمسة مراكب واستمروا في معالجة سده مدة أيام"[٢]

وقد انشئت تلك القناطر لأكثر من غرض منها.

١- تسهيل حركة المرور على المسافرين والمترددين على تلك المنطقة فقد كان المسافر أو المار يجد مشقة بالغة ناهيك عن التدافع والزحام فجاءت تلك القنطرة لتحل تلك المشكلة الكبيرة. [٣] وقد عبر القلقشندي عن تلك القضية بقوله: أن ثمة معدية أو وسيلة على ظهر البحر ما بين قليوب وباسوس وكان يحصل للناس بها مشقة عظيمة لكثرة المارّين، فعمر عليها الظاهر بيبرس رحمه الله قنطرة عظيمة بحجر صلد، من غرائب البناء، تمرّ عليها الناس والدواب، فحصل للناس بها الارتفاق العظيم ... [٤]

٢- تنظيم حركة الري في تلك المناطق فقد سبق وأشرت لكون تلك المناطق لا تصل لها المياه بسهوله، فكانت تلك القناطر بمثابة وسيلة لتنظيم المياه وقت الفيضان، من خلال ملء خزانات، وكذا من خلال السيطرة عن الفائض عبر البوابات التي كانت تتحكم في عبور الماء من عدمه، ومن ثم القدرة علي ري الأرض التي لم تصل إليها المياه بسهولة، وكذا حفظ العمائر التي من الممكن أن تتضرر حال زيادة النيل عن منسوبة الطبيعي [٥]

وقد توالت أعمال التجديد على تلك القناطر طوال سني عصر المماليك، بيد أن المصادر لم تمدنا بتلك التجديدات سوى ما تم في عصر السلطان قايتباي(٨٧٢-٩٠٢هـ/١٤٦٧-١٤٩٧م)، حيث ذكر ابن اياس من حوادث سنة ٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م، أن السلطان أمر بتجديد عمارة تلك القناطر، وعهد بتلك المهمة إلى أحد كبار المهندسين في تلك الحقبة، الا وهو بدر الدين حسن بن الطولوني [٦] فجمع لهذا العمل

---

=العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م ، ، جـ١٢٨/٧. عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م): معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، جـ٦١٩/٢. علي مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القديمة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ط١، المطابع الأميرية، ١٣٠٦هـ/،١٨٨٩م، جـ١٤/ ١١٦.

[١] يقصد سنة ١١٩٩هـ/ ١٧٨٥م.

[٢] عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ (المتوفى: ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م): تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، ٢٠٠٣م ، جـ٥٩٥/١.

[٣] النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ١٣٤/٣٠.

[٤] صبح الأعشى: جـ٣٣٧/٣.

[٥] المقريزي: السلوك، جـ٣/ ٢٥٧.

[٦] تردد اسم ابن الطولوني في المصادر أكثر من مرة وفي أكثر من حقبة، فهناك أحمد بن الطولوني ت ( ٨٠٢ هـ/ ١٤٠٠م) أحد كبار المهندسين في عصر الظاهر برقوق وصهره، وصاحب الهندسة المعمارية في الحرم المكي عصره، وهناك المهندس محمد بن الحسين الطولوني ت ٨٥٢ هـ/ ١٤٤٨م، أما صاحبنا فقد ترجم له السخاوي فقال: " الحسن بن=

المهندسين والبنائين والفعلة وما يلزم من الأدوات وبلغت جملة ما انفق عليها سبعة آلاف دينار، فعادت للحياة مرة أخرى بعد ما كادت تسقط [١]

وقد اهتمت لجنة حفظ الأثار بتلك القناطر من ذلك ما ورد في محاضر سنة ١٨٩٩م، حيث تمت معاينة تلك القنطرة وجاء في تقرير اللجنة ما يلي:

١- إن القنطرة بناء على معاينة مهندس اللجنة محاطة بأرض زراعية تمنع أعمال الصيانة والحفظ والترميم.

٢- طلب القسم الهندسي ضرورة البحث والتقصي وإرسال خطابات لمديرية القليوبية لمعرفة حجج الملكية بالنسبة لواضعي ايديهم على الأرض المجاورة للقنطرة. [٢]

وفي محاضر سنة ١٩٠٠م، ورد ما يلي:

١- اعتماد مقايسة لترميم وتقوية للقنطرة.

٢- تم نزع ملكية تسعة قراريط وأكثر

٣- عمل طريق من الأرض الزراعية إلى القنطرة [٣]

وفي محاضر سنة ١٩٠٢م كان الحديث عن تحويل ماء بحر أبي المنجا إلى العين الأخيرة للتمكن من ترميم العين الرابعة [٤]

ويستفاد من هذا النص أن القناطر كانت تعمل حتى هذا التاريخ، وأن القناطر كان الغرض الأصلي منها التحكم في مياه تلك الترعة أو هذا الخليج المعروف بأبي المنجا.

---

=حسين بن احمد بن احمد بن محمد بن علي بن عبد الله بن علي البدر بن الطولوني الحنفي سبط القاضي جمال الدين محمود القيصري ... ويعرف كسلفه بابن الطولوني. ولد سنة ست وثلاثين وثمانمائة بالقاهرة.(٨٣٦هـ/ ١٤٣٣م) ولازم الأمين الاقصرائي والزين قاسم الحنفي وكذا أخذ عن غيرهما بل أخذ عني أشياء وكتبت له اجازة. وحج وعانى الانغام في القراءات والأذان وغيرهما، وساق المحمل في الأيام الأشرفية إينال بل استقر به في المعلمية لكونه قام معه في المحاصرة قياما كبيرا فراعى له ذلك، وصرف عنها يوسف شاه وذلك في أوائل سلطنته وقتا، ثم باشرها بعناية الدوادار الكبير يشبك من مهدي لاختصاصه به في الأيام الأشرفية قايتباي. وكان قائما على بناء جامع الروضة المعروف بالمقسي وسكن هناك وللملك إليه بعض الميل والملاطفة بالكلام وربما يكلمه فيما يتوسل به عنده فيه، وفيه خير وأدب وتواضع وتودد للطلبة وإحسان للفقراء مع اعتنائه بالتاريخ ومذاكرته في أشياء منه" ت (٨٩٨هـ/ ١٤٩٣م) . (الفاسي) تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي (المتوفى: ٨٣٢ هـ/ ١٤٢٩م): العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨ م، جـ٣/ ١٢٤. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ١٥/ ٣٨٧. السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، جـ٣/٩٨.

[١] ابن اياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (٩٣٠هـ/ ١٥٢٢م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، فرانز شتاينر، ڤيسبادن، ١٩٧٥م، وطبعة دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، جـ٣/٢٤٠.

[٢] تقرير القسم الهندسي (٢٥٤) محاضر ١٨٩٩م، صـ ٥٥.

[٣] محاضر سنة ١٩٠٠م، صـ ٤٧.

[٤] محاضر ١٩٠٢م صـ ٦٦.

وفي التقرير رقم (٣١٣) لمحاضر اللجنة لنفس العام، ورد ذكر الشروع في عمل الترميمات اللازمة حال اعتماد الميزانية اللازمة لذلك [١]

وفي محاضر اللجنة للعام التالي، كان الحديث عن الفراغ من أعمال الترميم في تلك القنطرة بقيمة إجمالية خمسمائة جنيها مصريا، ( ٥٠٠ )[٢]

**الوصف الفني للقنطرة.**

تقع القنطرة في منطقة ميت نما الحالية على بعد كم تقريبا من طريق مصر الاسكندرية الزراعي، وهي مكونة من ستة عقود من الحجر، هذه الفتحات معقودة جميعها بعقود مدببة، كانت تستخدم كفتحات للتحكم في مرور الماء من عدمه، وقد اختار المعمار الشكل المدبب لأنه الأنسب من حيث المتانة والقوة. كذا اختار لها الحجر الكدان [٣] لمرونته ومناسبته لتلك الأبنية، كما قام المعمار بزخرفة العقود بنتوءات حجرية بارزة، وترتكز تلك العقود بدورها على دعامات حجرية ضخمة تفصل بين كل عقد وعقد.

كما عمد المعمار لعمل مسطبتين من الحجارة، أو سورين لحماية المارة من السقوط في الترعة.

صورة قديمة للقناطر.

كما تتميز تلك القناطر بوجود العديد من الرنوك التي تعود لعصر الظاهر بيبرس، تلك الرنوك التي كانت موجودة على قناطر السباع وغيرها من منشآت الظاهر بيرس.

كذلك وجود رنك كتابي للسلطان قايتباي، ولوحات كتابية تشير إلى أعمال الترميم والتجديد.

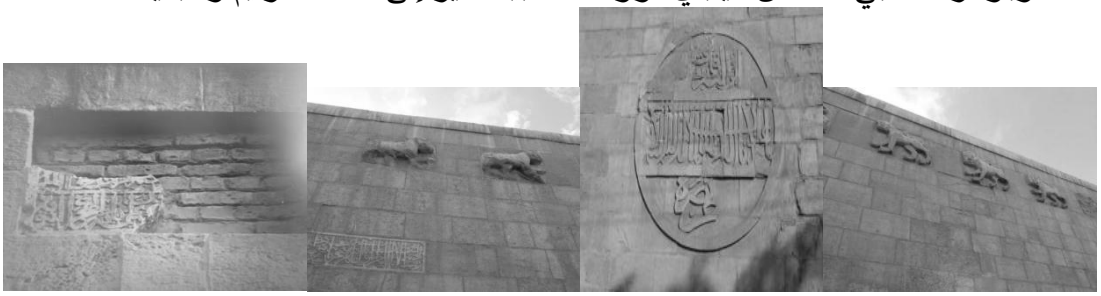

صوره متباينة تؤكد على ما تم ذكره.

---

[١] محاضر ١٩٠٢م صـ ٧٥

[٢] محاضر ١٩٠٤م، تقرير رقم ( ٣٢٩) صـ ٤٦.

[٣] أصلها الكدان وهي حجارة رخوة، لينة منها بمصر والعراق استخدمت في بناء الواجهات وتبليط الارضيات، وعمل درجات السلم، وغيرها من العمائر . الفراهيدي: العين، جـ٥ / ٢٧٦. عاصم محمد رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٠م، صـ ٧٦.

قناطر الاميرية.

أحد القناطر المهمة على الخليج المصري، أنشأها الناصر محمد بن قلاوون، سنة ٧٢٥ هـ/ ١٣٢٥م، والأميرية أحد المناطق التي ورد ذكرها في قوانين الدواوين عند الحديث عن الحبس[١] الجيوشي[٢] وذكر عدة نواح منها الأميرية الواقعة في الحبس الجيوشي[٣]

وذكرها ابن الجيعان فقال أنه بالحبس الشرقي[٤] وذكر أن تلك المنطقة في عصره [٥] أي في عصر المماليك الجراكسة تحولت لأوقاف ورزق وبعضها أملاك خاصة بما فيها منطقة الأميرية

موضع هذا القنطرة على الخليج المصري، ذكرها المقريزي بقوله:

" هذه القنطرة هي آخر ما على الخليج الكبير من القناطر بضواحي القاهرة، وهي تجاه الناحية المعروفة بالأميرية، فيما بينها وبين المطرية، أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاون في سنة خمس وعشرين وسبعمائة، وعند هذه القنطرة ينسدّ ماء النيل إذا فتح الخليج عند وفاء زيادة النيل ست عشرة ذراعا، فلا يزال الماء عند سدّ الأميرية هذا إلى يوم النوروز، فيخرج والي القاهرة، إليه ويشهد على مشايخ أهل الضواحي بتغليق أراضي نواحيهم بالريّ، ثم يفتح هذا السدّ فيمرّ الماء إلى جسر شيبين القصر، ويسدّ عليه حتى يروى ما على جانبي الخليج من البلاد، فلا يزال الماء واقفا عند سدّ شيبين إلى يوم عيد الصليب، وهو اليوم السابع عشر من النوروز، فيفتح حينئذ بعد شمول الريّ جميع تلك الأراضي، وليس بعد قنطرة الأميرية هذه قنطرة سوى قنطرة ناحية سرياقوس، وهي أيضا إنشاء الملك الناصر محمد بن قلاون، .."[٦]

ومن خلال نص المقريزي يستفاد التالي:

١- إن تلك القنطرة هي الأخيرة على الخليج المصري ( شارع بورسعيد)

٢- وأن تلك القنطرة أخر السدود يتم غلقها في حال بلوغ النيل الزيادة عن الست عشرة ذراعاً، ويظل هذا السد حتى يوم النيروز.[٧]

---

[١] الحبس والحبس: كل شيء وقفه صاحبه وقفًا محرمًا لا يباع ولا يورث . أحمد رضا: معجم متن اللغة، جـ١٢/٢.

[٢] نسبة لأمير الجيوش بدر الجمالي(٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) وهي عدة قرى وضياع كانت حبسا لهذا الوزير فلما أفتى فقهاء أهل السنة بعدم جواز الحبس باتت تحمل أموالها لبيت مال المسلمين. للمزيد. ابن مماتى : قوانين الدواوين، صـ ٣٣٩. المقريزي: الخطط، جـ١/ ٢٠٦.

[٣] ابن مماتى: صـ ٣٣٦

[٤] ذلك أن الحبس الجيوشي سالف الذكر كان منقسما لفرعين شرقي وغربي.

[٥] توفي ابن الجيعان ٨٥٥ هـ / ١٤٨٠م. الزركلي: الأعلام، ١٤٩/٨.

[٦] الخطط المقريزية: جـ٣/ ٢٦٣.

[٧] كلمه فارسيه مركبه من: نو، بمعنى جديد، وروز بمعنى يوم، ويوم النوروز عند الفرس هو أول يوم من ايام السنه الشمسية حيث يفرح الناس به سته ايام، وأول من اتخذه أحد ملوك الفرس ويدعى جما، والنيروز كان من ضمن الأيام التي يتم فيها فتح سدود النهر كما صرحت بذلك عددا من المصادر التاريخية. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفى: ٧٣٢هـ): المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة: الأولى، جـ١٠٧/٤. القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١/ ٤٩١. جـ٢/ ٤٤٥.

٣- يتم فتح السد بعد اليوم سالف الذكر، بمعرفة حاكم القاهرة ومشايخ الحارات والشوارع.

٤- إن مسألة فتح السدود مسألة تنظمها الدولة بمواقيت محددة ومعلومة، وبطرق نظمتها الدولة ولا يجوز الخروج عليها ويعتبر الخروج عنها خروجا عن القانون يعرض صاحبة للمسألة.

وموضع تلك القناطر كان على الخليج في المنطقة المحصورة ما بين الأميرية، والمطرية، عند التقاء شارع السواح بشارع الخليج المصري ( شارع بورسعيد)[١]

وقد تناول الأستاذ محمد رمزي تلك القناطر بشيء من التفصيل حيث قال:

أن هذه القنطرة تم تجديدها في مكانها ولا تزال قائمة على الخليج ( شارع بورسعيد) تجاه الاميرية، وما بقي من تلك القنطرة لا يزال موجودا في محاذاة ترعة الاسماعيلية، ومستعملا لري الأرض الواقعة عليه [٢]

قناطر الإوز.

ذكرها المقريزي وقال:

" هذه القناطر على الخليج الكبير، يتوصل إليها من الحسينية[٣]، ويسلك من فوقها إلى أراضي البعل[٤] وغيرها، وهي أيضا مما أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون في سنة خمس وعشرين وسبعمائة (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م)، وأدركت هناك أملاكا مطلّة على الخليج بعد سنة ثمانين وسبعمائة، وهذه القناطر من أحسن

---

[١] محمد الششتاوي: متنزهات القاهرة، صـ ٢١٠.

[٢] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٩ / ٨٣، حاشية رقم (٢)

[٣] الحسينية إحدى شوارع القاهرة القديمة، كانت مسكنا للأرمن بها كما ذكر ابن عبد الظاهر حوالي أكثر من سبعة آلاف أرمني، وقد أطلق عليها هذا الاسم ذلك ان جماعة من الأشراف الحسنيين من الحجاز قدموا أيام الملك الكامل إلى مصر وسكنوا خارج باب النصر، واشتهروا بالمدابغ وصناعة الجلود، بينما يرى المقريزي أن الحسينية تنسب لطائفة من العبيد عرفوا بهذا الاسم، علي كل فهي إحدى حارات القاهرة العتيقة التي كان لها بالغ الأثر في حركة التاريخ والحضارة المصرية، نزل بها طائفة من التتار في عصر الظاهر بيبرس والناصر محمد بن قلاوون ونشطت ايما نشاط في عصريهما وباقي سلاطين دولة المماليك، ولا تزال تلك الحارة في شمال القاهرة الفاطمية فيما بين بابي النصر وباب الفتوح فيما بين باب الفتوح ومنطقة الدمرداش وما بين باب النصر والعباسية .ابن عبد الظاهر: الروضة البهية، صـ ١٢٢. الخطط المقريزية، جـ٣/ ٤٠.

[٤] البعل في اللغة الأرض التي لا يبلغها الماء لارتفاعها، وهي الأرض المرتفعة التي لا تروى في العام إلا مرة واحدة، انت في العصر الفاطمي بستانا يعرف بالبعل وفيه منظرة البعل وقد أنشأهما الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي وقد جعل على هذا البستان سورا. وهي تقع في جانب الخليج الغربي بحري أرض الطبالة مقابل قناطر الإوز.، وقد ذكر "المقريزي" أنها في أيامه كانت مزرعة ويخرج الناس للتنزه هناك أيام النيل والربيع، وقد خربت المناظر آنذاك وبقى منها آثار ادركها المقريزي يعطن بها الكتان تدل على عظمتها وجلالتها في حال عمارتها.

ويمثل أرض البعل الآن المنطقة السكنية في غمرة والشرابية المحدودة من الشرق بشارع الخليج المصري (بورسعيد) ومن الشمال بشارع العلايلي وما في امتداده ومن الغرب بخط السكة الحديد الموصل إلى محطة مصر ومن الجنوب بشارع الظاهر وما في امتداده. الفراهيدي: العين، جـ٢/١٥٠. الزبيدي: تاج العروس، جـ٢٨/٩٢. مادة بعل. الخطط المقريزية، جـ ٢٣١/٣. محمد الششتاوي، متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني ص ٢٤٩

منتزهات أهل القاهرة أيام الخليج، لما يصير فيه من الماء، ولما على حافته الشرقية من البساتين الأنيقة، إلّا أنها الآن قد خربت." [١]

وقد علق الأستاذ محمد رمزي علي تلك القناطر بقوله:

كانت تلك القنطرة على الخليج الكبير، وتعرف بقنطرة الوزة، أو قنطرة الوز وظلت تلك القنطرة حتى عام ١٨٩٧م حتى ردم الجزء الأول من الخليج، وبردمه اختفت تلك القنطرة، وموضع تلك القنطرة، بشارع الخليج المصري( بورسعيد) في موضع عرف خطأ باسم قنطرة الظاهر في حين أن قنطرة الظاهر تبعد عن هذا المكان بنحو ١٨٠ متراً[٢]

ولعل تلك القنطرة كانت تقع بشارع القنطرة في منطقة الظاهر الحالية فيما بينها وبين غمرة.

وبما ان أرض البعل كانت تقع في مواجهتا فهي تحديدا في مكان ما بين منطقة الشرابية وغمرة.

شكل تقريبي لموضع القنطرة علي الخليج نقلا عن الشبكة العنكبوتية.

قنطرة قدادار :

وددت أن أختم الحديث عن القناطر بذكر تلك القنطرة، ذلك من عدة وجوه أهمية تلك القنطرة من حيث التوقيت والموقع، الأمر الأخر أن المنشئ هو نفسه مهندس قنطرة الإوز والأميرية سالفتا الذكر.

١- المنشئ .

الأمير قدادار، أحد أمراء المماليك البحرية، ترقى في الرتب والمناصب حتى ولي إقليم الغربية، والبحيرة، ثم ولي القاهرة، وتمكن فيها تمكنا زائداً، وكان جريئا سفاكاً للدماء علي حد وصف المقريزي، وهو الذى شرع في عمل الخليج الناصري أحد أهم مشروعات الناصر محمد المائية، عزل في أخر حياته ولزم بيته حتي خارت قواه وتمكن المرض منه فمات في سنة ٧٣٠ هـ / ١٣٣٠م. [٣]

القنطرة تاريخيا وحضارياً.

ورد ذكر هذه القنطرة في خطط المقريزي في أكثر من موضع دون تفصيل، ولكن مجرد اشارات عند الحديث عن اماكن معينه، أو الإشارة إلى المنشئ في حدث ما[٤] ثم ذكرها عند معرض حديثه عن القناطر فقال:

---

[١] الخطط: جـ٣/ ٢٦٣.

[٢] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، حاشية رقم (١)

[٣] المقريزي: السلوك، جـ ٣/ ١٣٧.

[٤] انظر الخطط المقريزية، جـ ٣ /٩٦، ٣/ ٢١٣، ٢٤١/٣.

" هذه القنطرة على الخليج الناصريّ، يتوصل إليها من اللوق، ويمشي فوقها إلى برّ الخليج الناصريّ مما يلي الفيل، وأوّل ما وضعت كانت تجاه البستان الذي كان ميدانا في زمن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، إلى أن أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون الميدان الموجود الآن بموردة البلاط من جملة أراضي بستان الخشاب، فغرس في الميدان الظاهريّ الأشجار وصار بستانا عظيما، كما ذكر ذلك في موضعه ... وعرفت هذه القنطرة بالأمير سيف الدين قدادار ... " [١]

بالبحث تبين أن تلك القنطرة رسمتها البعثة الفرنسية سنة ١٨٠٠م، وعرفت باسم قنطرة المدابغ، ويمثل موقعها اليوم بشارع يوسف الجندي (الحوياتي سابقاً) قرب تقاطعه بشارع صبري أبو علم حيث كان الخليج يمر في تلك الجهة.

وقد رمز لها على خريطة وصف مصر بالرمز M١٦ [٢]

من أولى القناطر على الخليج الناصري، ومن أولى المشروعات التي نفذها الأمير قدادار، حدد المقريزي موضعها في زمانه، فقال: يتم الوصول إليها من اللوق ( باب اللوق) وتصل ضفتي الخليج الناصري، من قبالة بركة الفيل، وكانت في موضع الميدان الظاهري [٣]، كان ميدانا في زمن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، إلى أن أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون الميدان الموجود الآن بموردة البلاط [٤] من جملة أراضي بستان الخشاب، فغرس في الميدان الظاهريّ الأشجار وصار بستانا عظيما [٥]

---

[١] الخطط المقريزية، جـ٣ / ٢٤٦.

[٢] جومار: وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، ترجمة أيمن فؤاد السيد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، صـ ١٣٥

[٣]) نوه المقريزي لهذا الميدان، الذى أنشأه الظاهر بيبرس، في المكان قبالة قنطرة قدادار، وظل ميدانا يلعب فيه بالكره، حتى عصر الناصر محمد بن قلاوون، وتحديدا في سنة ٧١٤ هـ/ ١٣١٤م، وعمله بستانا من أجل بعد البحر عنه، وأرسل إلى دمشق فحمل إليه منها سائر أصناف الشجر، وأحضر معها خولة الشام والمطعمين، فغرسوها فيه وطعموها، وما زال بستانا عظيما، ومنه تعلم الناس بمصر تطعيم الأشجار في بساتين جزيرة الفيل، وجعل السلطان فواكه هذا البستان مع فواكه البستان الذي أنشأه بسرياقوس تحمل بأسرها إلى الشراب خاناه السلطانية بقلعة الجبل، ولا يباع منا شيء البتة، ولعل الناصر كان شديد الغيرة من أعمال الظاهر على صفة الخصوص، يمثل موقع الميدان الآن المنطقة التي تحد اليوم بشارع البستان جنوباً وشارع محمود بسيوني (الانتكخانة) شمالاً وشارع يوسف الجندي شرقاً وشارع مريت أو شارع شامبليون غربا. للمزيد الخطط المقريزية، جـ ٣٤٧/٣. محمد الششتاوي: ميادين القاهرة في العصر المملوكي، صـ ٨٩.

[٤] ) كانت موردة البلاط، في المنطقة الجنوبية لجاردن سيتي، والقصر العيني، وكانت هي مبدأ الخليج الناصري، على اعتبار أنها أوطأ مكان والأنسب فكان فم الخليج الناصري يبدأ من تلك النقطة، كما عرفت بموردة الجبس، نظرا لأن المراكب التي كانت تحمل الجبس وبعض مواد البناء، كانت تفرغ حمولاتها في تلك النقطة، ويمثلها الآن نقطة التقاء شارع القصر العالي بشارع الوالدة باشا ( عائشة التيمورية)، إلى كوبري الخديوي إسماعيل، أو بمعنى أدق الجزء الأكبر من حي جاردن سيتي . المقريزي الخطط، جـ ٢٥٨/٣. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٩/ صـ٨١، حاشية رقم ٢. الششتاوي: متنزهات القاهرة، صـ ٤١.

[٥]) الخطط، جـ ٢٦٤/٣.

ومن الجدير بالذكر أن هناك شارع لا يزال يحمل اسم الأمير قدادار بحي عابدين بالقاهرة، وموضع القنطرة ربما كان في محيط هذا الشارع[١]

وكانت هذه القنطرة مبنية من عقد واحد وقد تعرضت للتخريب من المماليك لتمنع وصول العثمانيين لهم في المعارك بينهم بالقاهرة في محرم سنة ٩٢٣هـ،/١٥١٧م وقد رممت بعد ذلك عدة ترميمات آخرها ترميم الحملة الفرنسية لها. [٢]

خريطة قديمة للقاهرة المملوكية تبين موضع القنطرة في مواجهة باب اللوق على الخليج الناصري.

---

[١]) محمد كمال السيد، أسماء ومسميات، صـ ٢١٢.

[٢] للمزيد ابن تغري بردي: النجوم، تعليق محمد رمزي جـ ٩/ ١٨٢، حاشية رقم (٦). عبد الرحمن زكي، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، القاهرة: مكتب الأنجلو المصرية، ١٩٨٧، ص٢٢٠.

## المبحث الثالث: السقايات

السقاية جمعها سقايات، والسقاية الموضع المعد للشراب وكذا صواع[١] الملك[٢] ومنه قول الله تعالى: ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾[٣] وفي التنزيل ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن ..﴾[٤] والسِقاية بكسر السين موضع السقي والماء [٥] وعرفها رينهارت بأنها بناية تقوم على أعمدة من المرمر[٦] والسقايات إحدى المنشآت والمشاريع المائية المعدة لغرض نقل الماء العذب من مكان إلى أخر بواسطة عقود وقناطر ترفع إليها المياه عبر سواقي تجرها الدواب والأنعام وتنظمها الدولة وتدير شئونها كما سنرى. وفكرة السقايات فكرة قديمة في مصر الإسلامية، كان الغرض منها تزويد اهل مصر بالماء عبر قناطر وأنابيب داخل الأسوار او أنابيب فخارية أو ما شابه، ولعل من أشهر السقايات التي وجدت قبل عصر سلاطين المماليك، السبع سقايات.

وقصة السبع سقايات ذكرها المقريزي في خططه عند معرض حديثه عن بئر الوطاويط [٧] فقال:

" هذه البئر أنشأها الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات[٨]، المعروف بابن حنزابة، لينقل منها الماء إلى السبع سقايات التي أنشأها وحبسها لجميع المسلمين، التي كانت بخط الحمراء[٩]، وكتب عليها بسم الله الرحم الرحيم، لله الأمر من قبل ومن بعد، وله الشكر وله الحمد، ومنه المن على عبده جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات، وما وفقه له من البناء لهذه البئر وجريانها إلى السبع سقايات، التي أنشأها وحبسها لجميع المسلمين، وحبسه وسبله وقفا مؤبدا لا يحل تغييره ولا العدول بشيء

---

[١] المكيال والقدح والإناء يشرب فيه. راجع الجوهري: الصحاح ١٢٤٧/٣.

[٢] الفراهيدي: العين، جـ٥/ ١٨٩.

[٣] يوسف جزء من آيه٧٢

[٤] التوبة جزء من آية ١٩

[٥] الزبيدي: تاج العروس، ٢٩١/٣٨.

[٦] تكملة المعاجم العربية: ٣٧١/٣.

[٧] إحدى حارات مصر القديمة ذكرها علي مبارك في خططه في شارع الخضرية بالقرب من جامع ابن طولون، ولا تزال بتلك المنطقة حارة مشهورة تعرف بهذا الاسم. للمزيد الخطط التوفيقية، جـ٢/ ١١٣. محمد كمال السيد أسماء ومسميات من مصر القاهرة، صـ ٢٦٣.

[٨] هو الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات المعروف بابن حنزابة؛ كان وزيراً لبني الإخشيد بمصر مدة إمارة كافور، ثم استقل كافور بملك مصر واستمر على وزارته، ولما توفي كافور استقل بالوزارة وتدبير المملكة لأحمد بن علي بن الإخشيد بالديار المصرية والشامية، وقبض على جماعة من أرباب الدولة بعد موت كافور وصادرهم، ولم يقدر ابن الفرات على رضى الكافورية والإخشيدية والأتراك والعساكر، ولم تحمل إليه أموال الضمانات، وطلبوا منه مالاً يقدر عليه، واضطرب عليه الأمر فاستتر مرتين ونهبت دوره ودور بعض أصحابه، ثم قدم إلى مصر أبو محمد الحسين بن عبيد الله بن طغج صاحب الرملة فقبض على الوزير المذكور وصادره وعذبه، ت ( ٣٩١هـ/ ١٠٠١م) للمزيد المقريزي: المقفى الكبير،جـ٢٦/٣.

[٩] يقصد بها الحمراء الدنيا والتي كانت تشتمل على قناطر السباع والسبع سقايات وحكر الخليلي والكبش والخط الطولوني وهي المناطق الواقعة بين منطقة السيدة زينب وحتى شارع السد. راجع المقريزي: الخطط، ٩٠/٢.

من مائه، ولا ينقل ولا يبطل ولا يساق إلّا إلى حيث مجراه، إلى السقايات المسبلة، فمن بدّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه، إن الله سميع عليم. وذلك في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وصلى الله على نبيه محمد وآله وسلم، فلما طال الأمر خربت السقايات، وإلى اليوم، يعرف موضعها بخط السبع سقايات، وبنى فوق البئر المذكورة وتولد فيها كثرة من الوطاويط، فعرفت ببئر الوطاويط، ولما أكثر الناس من بناء الأماكن في أيام الناصر محمد بن قلاوون، عمر هذا المكان وعرف إلى اليوم بخط بئر الوطاويط"[١]

ومما لا شك فيه أن تلك المنشأة من المنشآت القديمة التي شيدتها الدولة الإخشيدية شيدها الوزير المذكور لأهل الفسطاط، حيث تنقل إليها الماء، من جزيرة الروضة في موسم الجفاف، وقد حفظ المقريزي نص الكتابة التاريخية التي وجدت علي لوح حجري في حي الصليبة لكن مع كل أسف ضاع هذا الحجر ودثر[٢] وهناك العديد من السقايات الأخرى التي سبقت تلك السقاية، والتي تدلل على اهتمام الخلفاء والحكام بالمشاريع المائية واثر ذلك على تأمين الحياة الاقتصادية بشكل خاص والحضارية بشكل عام، وانعاش خزانة الدولة.

فم الخليج وسور مجرى العيون.

أحد أهم المشروعات المائية التي تمت في عصر المماليك، وإن شئت فقل أهمها، وسيكون الحديث عن هذا المحور بالغ الأهمية منصباً على ثلاث محاور.

١- الخلفية التاريخية للمؤسسة

٢- الوصف الفني

أولا: الخلفية التاريخية.

الخليج المصري أحد أقدم المجاري المائية داخل مصر فقد تم حفره في عصر القدماء المصريين، ترجع أصول هذا الخليج إلى أيام الفراعنة حيث تم اتصال النيل بالبحر الأحمر في عهد سنوسرت الثالث، وهو ما يعرف باسم قناة سيزوستروبس، وفي العصر الروماني أعاد حفر القناة الإمبراطور تراجان فعرفت به.

أما في العصر الإسلامي فيرجع حفره إلى أيام ولاية عمرو بن العاص على مصر أثناء خلافة عمر بن الخطاب بعد فتح مصر ببضع سنوات، فقد حدث في سنة ٢١ هـ/٦٤٢م قحط وجدب شديدان بالحجاز وسمى ذلك العام "بعام الرمادة" لأن الأرض والشجر صارت مثل لون الرماد، فاستنجد عمر بن الخطاب بواليه على مصر عمرو بن العاص ليمده بالطعام لإغاثة أهل الحجاز ففعل، وعقب تلك الشدة أمر عمر بن الخطاب عمراً بحفر ذلك الخليج بناء على اقتراح عمرو الذي أراد بعد ذلك أن يتراجع عنه لمشقته ليساعد في نقل المدد والخراج للحجاز بسهولة في أسرع وقت، فتم حفر الخليج سنة ٢٣هـ/٦٤٤م. كما يوجد سبب آخر سارع بالعمل في حفر الخليج وهو حرص عمر على اتصال مصر بمركز الخلافة بالحجاز عن طريق البحر

---

[١] الخطط المقريزية: جـ٣/ ٢٤٢.

[٢] سيده إسماعيل كاشف: مصر في زمن الإخشيدين، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٠، صـ٢٩٨.

الأحمر لأنه كان حريصاً على الاتصال بالأقاليم والبلاد المفتوحة في أقرب وقت وأيسر طريق دون عوائق حتى يكون جاهزاً بالمدد والعون إذا احتاجته جيوش المسلمين في تلك البلاد المفتوحة [١]

ظل الخليج المصري يؤدي الفرض منه في الملاحة التجارية بين وادى النيل والبحرين الأحمر والأبيض، وري الأراضي الزراعية وفي تزويد سكان القاهرة بمياه الشرب. وظل الخليج يجري داخل مدينة القاهرة وضواحيها حتى سنة ١٨٩٧ وكان الإهمال قد نال منه الكثير خاصة بعد تشغيل قناة السويس سنة ١٨٦٩ في الملاحة البحرية، وإنشاء شركة مياه القاهرة في عصر الخديوي إسماعيل ومدّ أنابيب المياه النقية إلى العديد من أحياء القاهرة. انعدمت الحاجة العملية إلى الخليج المصري وأُهمل شأنه تماما وتحول إلى مكان لإلقاء فضلات ومخلفات البيوت في الأحياء المطلة عليه من الجانبين، تقرر ردم الخليج نهائيا، وصدر أمر الخديوي عباس حلمي الثاني في فبراير سنة ١٨٩٧ بردمه مراعاة للصحة العامة. وتولت شركة ترام القاهرة عملية الردم وعمل شارع في موضعه تسيير الترام الكهربائي فيه. ثم ردم الخليج المصري بالفعل سنة ١٨٩٨ وتحول موضعه إلى شارع عمومي أطلق عليه اسم شارع الخليج المصري، سار فيه خط للترام سنة ١٨٩٩يربط بين أحياء غمرة وباب الشعرية والسيدة زينب وقصر العيني. وفي سنة ١٩٥٦ تغير اسم شارع الخليج المصري إلى شارع بورسعيد.[٢]

وكان النيل عند الفتح الإسلامي في غير موضعه الحالي حيث إن جامع عمرو كان على النيل مباشرة[٣] والآن يبتعد عن المسجد أكثر من خمسمائة متر تقريبا وكان مجرى النيل غرب مسجد السيدة زينب بحوالي ثلاثمائة مترا والآن يبعد عنه بمقدار كليو متر تقريبا أو يزيد وكان فم الخليج في تلك المنطقة أو تلك البقعة بالقرب من مسجد السيدة زينب وذلك في عصر الفتح الإسلامي وكان مسار الخليج شرقا بعرض ميدان السيدة زينب رضي الله عنها ثم يتجه شمالا.

ولكن مع التحولات التي طرأت على النيل ومساره[٤] تغير موضع فم الخليج عن موضعه السابق حتى بنى عبد العزيز بن مروان قنطرة عند فم الخليج في بحكر أقبغا أو السبع سقايات سالفة الذكر وهي المنطقة المعروفة الآن بحكر اقبغا بجنينة لاظ [٥]

ثم حدث تحول أخر لفم الخليج في المكان الذى بنى فيه الصالح نجم الدين أيوب قنطرته سالفة الذكر، والمعروفة بقنطرة السد وأصبح فم الخليج في المنطقة التي يتلاقى فيها شارع مدرسة الطب مع شارع الخليج المصري( بورسعيد)[٦] ولا يزال هناك شارع شهير في السيدة يحمل اسم شارع السد .

---

[١] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية، صـ ١١٥. الششتاوي : متنزهات القاهرة، صـ ١٩٠.

[٢] محمد كمال السيد: أسماء ومسميات، صـ ٤٦

[٣] ذكر المقريزي الآتي ولم يكن عند فتح أرض مصر بين جامع عمرو وبين النيل ... الخطط المقريزية، جـ١٧٢/٢.

[٤] هذه التحولات تكلم عنها الأستاذ محمد رمزي وهي تسع تغيرات تحدث الأستاذ محمد كمال السيد عنها وكذا الدكتور الششتاوي. انظر أسماء ومسميات من مصر القاهرة صـ ٥٨، متنزهات القاهرة، صـ ١٩

[٥] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٧/ ٣٨٧. استدراكات محمد رمزي.

[٦] عبد الرحمن زكي: القاهرة في الف عام، صـ ٢١٩.

وقد ارتبط فم الخليج بسور مجرى العيون منذ انشاء قلعة الجبل، فمن المعروف سلفاً أن صلاح الدين اسس دولته على خلفية عسكرية، فقد جاء على انقاض دولة شيعية تختلف معه في العقيدة والمذهب والتوجه، اضف لذلك خطر الصليبين والقرامطة وغيرهم، وعليه فقد عمد لإحاطة القاهرة ومصر العتيقة بسور حجري[١] وبناء قلعة الجبل، صحيح أنها لم تكتمل إلا بعد وفاته في عصر خلفائه[٢]؛ لكنها تنم عن شخصيته وفكره، ومع بناء القلعة كان لا بد من تزويدها من أهم وأغلى عنصر امني الا وهو هو الماء فرأي صلاح الدين أن يزود القلعة ببئر عرفت تلك البئر باسم بئر يوسف نسبة لصلاح الدين، وهي وأحدة من أعجب الابنية والعمائر، ذكرها ابو شامه[٣] وحفر في رأس الجبل بئرا ينزل فيها بالدرج المنحوتة من الجبل إلى الماء المعين ولم يتأت له هذا كله في سنين متقاربة لولا أعانه ربه المعين.

وتابعه ابن واصل[٤] ثم فصل القلقشندي [٥] القول: وبهذه القلعة مع ارتفاع أرضها وكونها مبنية على جبل بئر ماء معين منقوبه في الحجر، احتفرها بهاء الدين قراقوش [٦] وهي من أعجب الآبار، بأسفلها سواق تدور فيها الأبقار، وتنقل الماء في وسطها، وبوسطها سواق تدور فيها الأبقار أيضا وتنقل الماء إلى أعلاها؛ ولها طريق إلى ماء ينزل البقر فيه إلى معينها في مجاز، وجميع ذلك نحت في الحجر ليس فيه بناء.

وتابع القول: سمعت أنها لما نقرت، جاء ماؤها عذبا فأراد قراقوش أو نوّابه الزيادة في مائها فوسع نقرا في الجبل، فخرجت منه عين مالحة غيرت عذوبتها... وهذه البئر ينتفع بها أهل القلعة فيما عدا الشرب من سائر أنواع الاستعمالات. أما شربهم فمن الماء العذب المنقول إليها من النيل بالرّوايا على ظهور الجمال والبغال مع ما ينساق إلى السلطان ودور أكابر الأمراء المجاورين للسلطان من ماء النيل في المجاري،

---

[١] عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي، موفق الدين، ويعرف بابن اللباد، وبابن نقطة (المتوفى: ٦٢٩هـ): الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، مطبعة وادي النيل، الطبعة: الأولى، ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م، صـ٢٣. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٣٩/٤.

[٢] بدأ صلاح الدين في إنشاء قلعة الجبل سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م وكان يقيم بها بعض الأيام، وسكنها ابنه الملك العزيز عثمان في أيام أبيه مدة، ثم انتقل منها إلى دار الوزارة. وقد تم بناء القلعة في سنة ٦٠٤ هـ/ ١٢٠٧م في عهد الملك الكامل(٦٣٥-١٢٣٨م) الذى انتقل إليها واتخذها دار ملك، وظلت كذلك إلى عهد الخديوي إسماعيل حيث نقلت منها دواوين الحكم إلى دور أخرى في قلب القاهرة. ابن واصل: مفرج الكروب، ٥٤/٢. النويري: نهاية الأرب، ٤١/٢٩. جومار: وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، مكتبة الخانجي، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، صـ ٢٢٨.

[٣] الروضتين في أخبار الدولتين، جـ٤٤٧/٢.

[٤] مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق د جمال الدين الشيال، وآخرون، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية – المطبعة الأميرية، القاهرة – جمهورية مصر العربية، عام النشر: ١٣٧٧ هـ – ١٩٥٧ م ، جـ٥٤/٢.

[٥] صبح الأعشى، جـ٤٢٦/٣.

[٦] بهاء الدين قراقوش (لفظ تركي مكون من مقطعين ويعني الطائر الأسود أو الحاجب الأسود ويراد به هنا النسر أو العقاب) بن عبد الله الأسدي، كان خادما لأسد الدين شركوه وبه عرف، ثم خدم صلاح الدين، حتى صار وزيرا له، ومن آثار الشروع في بناء قلعة الجبل وسور القاهرة، والقناطر بالجيزة ناحية الأهرامات، بجانب الخانات والسبل والمشرعات الخيرية والخدمية توفاه الله في سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠١م). ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٩١/٤. الزركلي الأعلام، جـ ٩١/٤.

بالسواقي النّقّالات والدواليب التي تديرها الأبقار وتنقل الماء من مقرّ إلى آخر حتّى ينتهي إلى القلعة، ويدخل إلى القصور والآدر في ارتفاع نحو خمسمائة ذراع .

ويؤخذ مما سبق الآتي:

١- بئر يوسف عين حفرت في باطن الجبل لتأمين الماء في حال فقده لحرب أو حصار أو جفاف أو ما شابه.

٢- يتم رفع الماء عبر سواقي بالأسفل تنقل لحوض وتنقل إلى الاعلى بواسطة سواقي أخرى، ولعل هذا يفسر وجود دار البقر بالقرب من تلك المنطقة[١]

٣- أن تلك البئر بسب الملوحة التي يرجح أنها اختلطت بها من عين أخرى كانت معده لجميع الأغراض سوى الشرب، وهو ما اضطر الحكام في البحث عن بدائل أخرى لسكان القلعة وما حولها، من خلال مجاري مائية تنقل من النيل عبر أنابيب وتخزن في صهاريج وخزانات مخصصة ينتفع بها أهل القلعة والدليل على ذلك ما ذكره القلقشندي، وما فعله كذلك الظاهر بيبرس () من عمل مصنع بجوار القلعة لتخزين المياه[٢]

ومن الجدير بالذكر أن هذه البئر تم الشروع فيها في سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م، علي عمق تسعين متراً [٣]

ومن نافلة القول إن كل هذه المظاهر هي تأثيرات مشرقية وافدة علي الشخصية المصرية[٤]

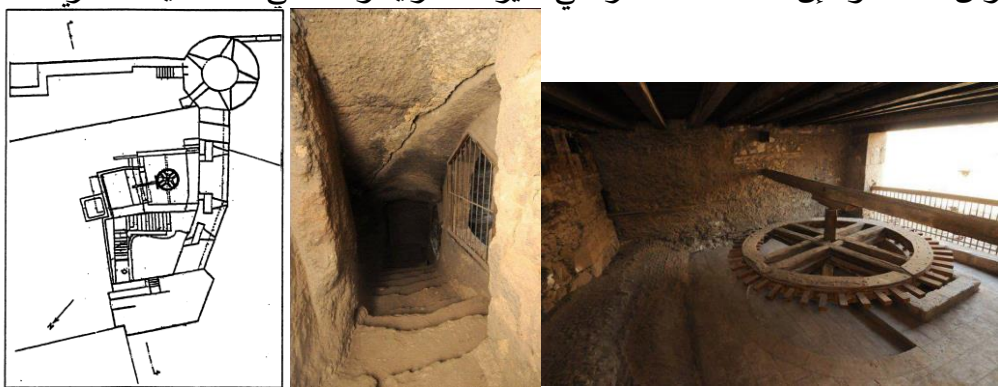

صور للبئر توضح بقايا السواقي الخشبية المستخدمة في عملية الرفع، وأخرى للسلم الحجري المعد للنزول. مع وجود مسقط أفقي للبئر نقلا عن المجلس الأعلى للأثار.

وعليه فظلت عملية نقل الماء إلى القلعة مقر الحكم والعاصمة الإدارية تشغل بال الحكام وتؤرق أذهانهم، وكما أشرت أن الاهتمام بهذا المشروع بدأ مع بداية بناء القلعة، فلم يقتصر السور على مجرد الحماية

---

[١] المقريزي: الخطط، ١٢٥/٣.

[٢] المقريزي: الخطط، جـ٣/ ٤٠٠.

[٣] أحمد عبد الرزاق : العمارة الإسلامية في مصر، صـ ١٦٤.

[٤] انظر الحديث عن حلب وقلعتها. ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (المتوفى: ٦٦٠هـ): بغية الطلب في تاريخ حلب، المحقق: د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى: ٦٨٢هـ): أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت، صـ٥٣٣.

بل تم استغلاله في تزويد القلعة بالماء من خلال انابيب فخارية في باطنه ممتدة من النيل وحتى القلعة[١] ثم جاء الملك الكامل فاستكمل مشروع القلعة وتوطينها، وتحويل مقر الحكم والإدارة إليها فجنباً إلى اكمال مباني القلعة، عمل ميدانا عرف بميدان تحت القلعة، من المشروعات التي اهتم بها الكامل في سنة ٦١١هـ/ ١٢١٤م فأجرى له الماء وعمل السواقي النقالات، وجعل بجانبه ثلاث برك تملء بغرض السقي وعمارة هذا الميدان، ثم تعطل مده وعمره الملك العادل(٦٣٥-٦٣٧هـ/١٢٣٧-١٢٣٩م) ثم اهتم به الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧-٦٤٨هـ/١٢٤٠-١٢٥٣م) اهتماما عظيما، وجدّد له ساقية أخرى، وغرس في جوانبه أشجارا فصار في نهاية الحسن. فلما توفّي الصالح تلاشى حاله إلى أن هدم في سنة ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م في المعز أيبك التركماني (٦٤٨-٦٥٥هـ/ ١٢٥٠-١٢٥٧م)، وهدمت السواقي والقناطر وعفت آثارها، وبقي كذلك حتّى عمره السلطان الملك الناصر محمد[٢]

وظلت فكرة نقل الماء للقلعة تسيطر علي أذهان الحكام فكما نوهت سابقا أنشأ الظاهر مصنعا أو خزانا للماء، ثم جاء الناصر فأعاد الحياة مرة أخرى لهذا الميدان، وأمر بإعادة إعماره في سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٢م، وكُمل في سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م وقد ذكر النويري [٣] معلومات تفصيلية عن تلك العمارة فقال: أن الناصر لما شرع في عمارة هذا الميدان قام ببعض الخطوات وهي كالتالي:

١- أدخل فيه جزء من سور القاهرة من أول باب القرافة [٤] وحتى جهة القلعة

٢- تم ردم الميدان بالطين ومعنى هذا أن أرض الميدان كانت منخفضه حتى تاريخه.

٣- إعادة اعمار السواق التي كانت موجودة من ذي قبل وتعطلت زمن المعز أيبك التركماني

٤- عمل بئر ثالثة بغرض نقل الماء من النيل إلى القلعة.

وفي سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م، قام الناصر بعمل مجرى للماء بواسطة انابيب وقناطر بالحجر الفص النحيت[٥] يتم رفع الماء إليها عبر سواقي وكانت بدايتها من عند مكان يعرف بالرصد(اسطبل عنتر)[٦]

---

[١] عبد الرحمن زكي: القاهرة في ألف عام، ٦٩

[٢] القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٣/٤٢٨.

[٣] نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ٣٢/٢٠٦.

[٤] أثر رقم (٦١٨)،بميدان السيدة عائشة، يقصد قرافة الإمام الشافعي وقد بنى صلاح الدين هذا الباب سنة ٥٧٢هـ (١١٧٦م) وهو من أبواب القاهرة الخارجية الذي كان يخرج منه أهل المدينة إلى قرافة الإمام الشافعي. يقول المقريزي في الخطط أن المنطقة المحصورة بين ضريح الإمام الشافعي وسفح جبل المقطم لم يكن بها مقابر إلا بعد أن دفن الملك الكامل الأيوبي ابنه ٥٨٠ سنة هـ (١١٨٤م) بجوار ضريح الامام الشافعي وبنى القبة الكبيرة فوق الضريح فنقل الناس أبنيتهم من القرافة الكبرى إلى هناك وانشئوا بها مقابر لهم عرفت باسم القرافة الصغرى. للمزيد المقريزي: الخطط، جـ٣/٣٥٧. السيوطي: حسن المحاضرة، ١/١٤٠.

[٥] نوع من الحجر المهذب المنحوت متوسط الحجم، كثر استخدامه في واجهات العمائر منذ العصر الفاطمي، وكان غالبا ما يوضع باللونين الاحمر والأصفر(المشهر) أو الأبيض والأسود ( الأبلق). عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون، صـ ٧٦

[٦] الرصد أو الجرف مكان قديم مرتفع بمصر القديمة عرف بهذا الاسم لأنه كان مرصداً للاطلاع على النجوم، فقد اقيمت عليه كرة لرصد الكواكب،

ثم نقل إلى مكان أخر عرف بدرب الخولي بالسيدة عائشة حاليا، وفي السنة نفسها عمل السلطان حديقة كبيرة في القلعة ونقل إليها الأشجار والرياحين من سائر البلاد ... [١]

وفي سنة ٧٤١ هـ/ ١٣٤٠م، أراد السلطان أن يزيد منسوب الماء الواصل إلى القلعة فركب ناحية بركة الحبش ( حي دار السلام والبساتين) [٢] بصحبة عدد من المهندسين الذين رافقوه خصيصاً لأجل هذا الغرض، فأمر بأن يحفر خليج أو قناة مائية من النيل وحتى الرصد، وفي وسط الرصد أو الجبل أو التلة التي تقع عليها أمر بحفر عشر آبار، عمق كل بئر أربعين ذراعاً أي ما يعادل، ٢٢٠٠م تقريبا، وأمر بعمل السواقي عليها لتحمل الماء من القناطر الواقعة بتلك البقعة وحتى تصل إلى القلعة [٣]

ويستفاد مما تقدم مدى اهتمام الناصر بفكرة السور ونقل الماء، من النيل إلى القلعة عبر قناطر حاملة لأنابيب فخارية، ترفع إليها المياه عبر سواقي تمت زيادتها علي مر سني حكم الناصر منذ عام ٧١٣هـ/١٣١٣م، وحتى تاريخ وفاته ٧٤١ هـ/ ١٣٤٠م.

وكانت تلك القناطر تمتد من منطقة أثر النبي بمصر القديمة وحتى قلعة الجبل. [٤]وظل الماء ينقل إلى القلعة عبر سواق وقناطر الناصر، حتى زمن الظاهر برقوق(٨٠١هـ/١٣٩٨م) الذى رأي بنظره الثاقب زيادة أعداد أفراد المماليك وسكان القلعة ومن يجاورها من العامة، خصوصا بعد الزيادة السكانية الكبيرة، اثر التطور العمراني الهائل الذى أحدثه الناصر محمد في تلك المنطقة حيث اتصلت العمائر من القاهرة مما خرج عن باب زويلة يسرة ويمنة وطولا وعرضا وأصبح العمران من قناطر السباع حيث ميدان السيدة زينب وحتى مصر العتيقة ومن باب زويلة حتي قلعة الجبل، ومنه كذلك حتى السيوفية وبركة الفيل وما حولها، وعمرت بركة الحبش وما حولها، وما بين القلعة حتى الفسطاط.

هذه الطفرة بالطبع أحدثت زيادة سكانيه هائلة، كان لا بد معها من زيادة منسوب الماء الواصل إلى القلعة وما حولها.

فأنشأ الظاهر برقوق صهريجا كبيراً في باطن الأرض، تخزن فيه المياه وقت الفيضان والزيادة في كل سنة، وجعل على هذا الصهريج سبيلا فحصل للناس به نفعاً عظيماً [٥]

ويبدو أن مشروع الناصر محمد لم يكن قد اكتمل كله فقد وافته المنية قبل تمام مشروعه الضخم، نعم المياه تنقل عبر قناطر وسواقي وحمالين كما سبق وأن أشرنا، غير أن الناصر كان يهدف لإتمام هذا العمل الذى كمل في عصور بعيدة عن عصره، أي أن الناصر كان يهدف لعمل مشروع ضخم يخدم القلعة مئات السنين لكن الموت قد حال دون تمام هذا المشروع.

---

[١] ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١/٤٤٩.

[٢] محمد الششتاوي: متنزهات القاهرة، صـ٩٢.

[٣] المقريزي : السلوك، جـ٣/٢٩٦.

[٤] ابن تغري بردي: النجوم، جـ٩/١٦١.

[٥] القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٣/٤٢٧.

وقد أشار المقريزي[١] إلى هذا بقوله: أن الناصر أمر بحفر خليج صغير يخرج من البحر ويمرّ إلى حائط الرصد، وينقر في الحجر تحت الرصد عشر آبار يصبّ فيها الخليج المذكور، ويركّب على الآبار السواقي لتنقل الماء إلى القناطر العتيقة التي تحمل الماء إلى القلعة. زيادة لمائها، وكان فيما بين أوّل هذا المكان الذي عيّن لحفر الخليج وبين آخره تحت الرصد، أملاك كثيرة، وبساتين عده، فكلف الأمير أقبغا عبد الوحد لحفر هذا الخليج وشراء الأملاك من أربابها، فحفر الخليج وأجراه في وسط بستان الصاحب بهاء الدين بن حنا [٢]، وقطع أنشابه وهدم الدور، وجمع عامّة الحجارين لقطع الحجر، ونقر الآبار، وصار السلطان يتعاهد النزول للعمل كلّ قليل، فعمل عمق الخليج من فم البحر أربع قصبات، وعمق كلّ بئر في الحجر أربعين ذراعا، فقدّر الله تعالى موت الملك الناصر قبل تمام هذا العمل، فبطل ذلك وانطمّ الخليج بعد ذلك، وبقيت منه إلى اليوم قطعة بجوار رباط الآثار، وما زالت الحائط قائمة من حجر في غاية الإتقان من إحكام الصناعة. وجودة البناء عند سطح الجرف الذي يعرف اليوم بالرصد، قائما من الأرض في طول الجرف إلى أعلاه، حتى هدمه الأمير يلبغا السالميّ[٣] في سنة اثنتي عشرة وثمانمائة، (٨١٢ هـ/ ١٤٠٩م) وأخذ ما كان به من الحجر فرمّ به القناطر التي تحمل إلى اليوم حتى يصل إلى القلعة، وكانت تعرف بسواقي السلطان...

**مناقشة الرواية :**

هذه الرواية غير صحيحة ولعلها من أوهام المقريزي وهو العالم الكبير والمؤرخ المدقق، لكن الكمال لله ؛ وذلك من عدة أوجه:

١- أولها أن يلبغا توفي في سنة ٨١١ هـ /١٤٠٨م، أي قبل هذا المشروع بنحو عام، والعجيب أن المقريزي نفسه ذكر أن تاريخ الوفاة في سنة ٨١١ هـ /١٤٠٨م.[٤]

---

(١) الخطط: جـ٣/٤٠١.

[٢] بهاء الدين علي بن محمد بن سليم، م:الحنا المصري، كان من العباد، النساك، مع كرم وجود، وحسن طباع، ونبيل أخلاق، بني رباطا بالقرافة، كان من العلماء المعدودين في عصره، بلغ من السلاطين مبلغاً عظيماً، أستوزه الظاهر، وفوّض إليه أمور مملكته مما يتعلق بالأموال والولايات والعدل لا يعارض في ذلك، ولا يشار، كان كثير البر والصدقات، ت ( ٦٧٧هـ/١٢٦٩م)، وشارع حدرة الحناء ذكره على مبارك في خططه بالقرب من قلعة الكبش، ويعرف بالدحديرة الآن. اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني (المتوفى: ٧٢٦ هـ): ذيل مرآة الزمان، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م :، ٣/٣٨٤. النويري: نهاية الأرب، ٣٠/٣٨٨. الخطط التوفيقية: جـ٤/١١٦.

[٣] يلبغا بن عبد الله السالمي الظاهري، كان من مماليك الظاهر، ثم تمهر وصيره خاصكيّاً. كان فقيهاً صوفياً حنفي المذهب، كان ممن مماليك الظاهر برقوق ومن المقربين وأصحاب الحظوة لديه، وتولى نظر الخانقاة الصلاحية في سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٥م ، وتدرج في المناصب ومن أهم المناصب التي تولاها منصب استادار السلطنة، وتقلبت به الأحوال حتى مات خنقا في محبسة بالإسكندرية وهو صائم سنة (٨١١هـ/ ١٤٠٩م). للمزيد راجع ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ): إنباء الغمر بأبناء العمر، المحقق: د حسن حبشي، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، عام النشر:١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م، جـ٢/٤١٧.

[٤] الخطط: جـ٤/٨٣. ابن إياس: البدائع، جـ ١/ ٧٩٢.

٢- أنه ما من مصدر ذكر تلك الواقعة إلا المقريزي ولعل هذا كما ذكرت أن هذا من أوهامه، ومن الغريب متابعة بعض المراجع الحديثة على نفس كلام المقريزي دون تحقيق أو تدقيق[١]

٣- كل المصادر التي تحدثت عن حوادث تلك السنه وما قبلها وما بعدها لم تذكر اطلاقاً أي مشروعات من هذا القبيل.

وعليه فإن تمام هذا المشروع لم يكتمل بالصورة التي أرادها الناصر، وظل هذا الأمر في منأى عن تفكير السلاطين حتى عصر برقوق، ولعل السر في هذا مرده إلى الاضطرابات والفتن الداخلية والخارجية، من تربص الصليبين وغيرهم، ومن نزاعات بين الأمراء والسلاطين، وخلافات حول العرش، وعدم وجود سلاطين اكفاء مثل الناصر محمد، اضف لذلك ظهور تيمور لنك[٢] على مسرح التاريخ، والأثر السلبي الذى ترتب على وجوده على المناحي الحضارية بصورة عامة.

علي كل فبعد وفاة الناصر ثمة خلل حدث في هذا المشروع، نظراً لما آلت إليه أحوال المملكة، من وهن وضعف؛ وخلافات وفتن، ادت في النهاية لإهمال هذا المشروع على الأقل في زمن دولة المماليك البحرية.

لكن لم يهمل بشكل كامل، ولا تزال فكرة ايصال الماء إلى القلعة تشغل بال حكام المحروسة بعد الناصر، ففي عهد حاجي بن الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون (٧٨٣-٧٨٤هـ/ ١٣٨١-١٣٨٢م)[٣] وفي سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م، قام الأمير جركس الخليلي، شاد العمائر؛ صاحب جسر الخليلي سالف الذكر، قام بتوصيل الماء من النيل إلى الميدان تحت القلعة ( ميدان صلاح الدين) وصب في الحوض الذي على بابه بالرميلة فعم النفع به سكان تلك الجهات. وكان له نحو من سبعين [٤]سنة لم يجر فيه ماء [٥] وقد شاهد ابن تغري بردي هذا الحوض وذكر أنه بلا ماء ومعطل [٦]، ومما لا شك فيه أن عمارة الأسبلة والصهاريج كانت أحد الأسباب التي ساهمت في احياء الفكرة واستكمال المشروع مرة أخرى، فمن ذلك أن المؤيد

---

[١] سامي محمد نوار: المنشآت المائية بمصر منذ الفتح الإسلامي وحتى نهاية العصر المملوكي، دراسة أثرية معمارية، دار الوفاء الإسكندرية، صـ٨٩.

[٢] أحد أحفاد هولاكو، وأحد الاباطرة الذين عاثوا في الأرض الفساد، استولى على دمشق وحلب والعديد من بلاد الشام والعراق والهند، استباح كل شيء، فقتل الشباب والشيوخ واستباح النساء والخمر، حتى أنه قتل من أهل حلب وحدهم أكثر من عشرين الفا مثل بجثثهم، وجعل رؤوسهم معلقة كالمنارات، كان غريب الاطوار يدني العلماء وأرباب الفكر ثم يقتلهم، ويهدم المدن والأثار ثم يعيد بناءها مرة أخرى! وقد أفضى إلى ما قدم في سنة ٨٠٨هـ/ ، للمزيد المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٦٨/٦. وانظر ابن عربشاه، أبو محمد أحمد بن محمد ابن عربشاه ت( ٨٥٤ هـ/ ١٤٥٠م): عجائب المقدور في أخبار تيمور. طبعة كلكتا الهند، سنة ١٨١٧م.

[٣] السخاوي: الضوء اللامع، جـ٨٧/٣.

[٤] ذكر المقريزي أنها سبع سنين لكن المتتبع للمصادر التاريخية يؤيد كلام ابن اياس ولعله تصحيف من المقريزي.

[٥] المقريزي: السلوك، جـ١٢٦/٥. ابن اياس: بدائع الزهور، جـ١ ق ٢ / ٢٩٣

[٦] النجوم الزاهرة، جـ ٢١٠/١١.

شيخ المحمودي(٨١٥-٨٢٤هـ/ ١٤١٢-١٤٢١م) قام ببناء صهريجاً في القلعة ومن ثم لزمه توفير الماء لهذا الصهريج[١]

اضف إلى ما تقدم أن الأحداث السياسية كانت تؤثر أحيانا في مسألة الماء وتأمينه ووصوله إلى القلعة، أو حتى إلى العامة، ومسألة الأمن المائي من المسائل الشائكة التي تؤثر سلبا على أمن واستقرار أي دولة.

ففي سنة ٨٠١ هـ/ ١٣٩٩م، لم يوفي النيل، وشح طلب الماء، حتى أن الناس كانت تتزاحم علي السقايين تزاحما شديداً.[٢]

وفي سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٨م، تسلط المماليك الجلبان، واخذوا الجمال لحمل الدريس الخاص بدوابهم، ولم يجد السقايين ما يحملون عليه وتضاعفت أسعار الرواية وحصل للناس مشقة عظيمة[٣]

وقد علق ابن شاهين على هذا الحادث فقال:

وفيه تكالب الناس على الماء، ولم يوجد السّقّايين بالجمال، وصار الناس يسقون بالحمير بالجرار وعلى الرؤوس ، وغلّقت الأسبلة، وتزاحم الناس عليها [٤]

ولعل هذا النص رغم بساطته غير أن دلالته كبيرة، فكما ذكرت أن مسألة الأمن المائي من المسائل الخطيرة جدا والتي تمثل أهم قضايا الأمن القومي، ولذا كان شاغل المماليك هو توفير الماء لمنطقة القلعة، مقر الحكم والإدارة في مصر والشام آنذاك.

ولذلك كانت دائما ما تتجه رغبات السلاطين دوما لإنشاء صهاريج وأسبلة في تلك المنطقة، فقد ذكر جومار أن بمنطقة القلعة وحدها أكثر من أربعة عشر سبيلا وصهريجاً[٥]

وظلت تلك القناطر في اهمال، أو تحيا على الاطلال القديمة حتى عهد السلطان قانصوة الغوري (٩٠٥-٩٢٢ هـ/ ١٤٩٩-١٥١٦م) الذى اعاد الحياة مرة أخرى لتلك القناطر وهذا المشروع، ففي سنة ٩٠٩ هـ / ١٥٠٣م شرع السلطان في إعادة اعمار الميدان تحت القلعة حيث قام بعدة إجراءات منها:

١- قام بتعلية سور القلعة

٢- قام بتعلية أرض الميدان من جهة الغرب بنحو أربعة أذرع أي ما يعادل متران ونصف تقريبا

٣- بنى بيتا وداراً للمحاكمات ( محكمة)

٤- بنى في الجهة الغربية من الميدان قصراً ومنظرة أو متنزهاً.

٥- قام بغرس الميدان بالأشجار والثمار المحلية والمستجلبة، رائعة الشكل والرائحة

٦- قام بجلب الماء للميدان من طريقين :

---

[١] ابن اياس: البدائع، جـ٢/٦٣.

[٢] ابن حجر: إنباء الغمر، ٢/١٠٥.

[٣] ابن اياس: بدائع الزهور، جـ٣/٢٤٧.

[٤] نيل الأمل في ذيل الدول، جـ٨/٦٣.

[٥] وصف قلعة الجبل، صـ ٢٤١.

أ- من طريق باب القرافة من خلال مجراه متصلة بالسواقي الموجودة هناك، وهو الباب الذى نوهنا عنه سابقا في اصلاحات الناصر محمد بن قلاوون سابقا لتلك القناطر.

ب – الطريق الثاني من خلال حدرة البقر ( شارع المضفر أو المظفر حاليا السيوفية)

٥- أنشأ قصراً على ميدان الرملة ( الرميلة أو ميدان صلاح الدين حاليا) وجعل ما بين القلعة والميدان ممشاه وسلالم متصلة

٦- شرع في إنشاء سبيل وحوضا وساقية ومغسلاً للأموات.

وبلغ مصروفة على هذا المشروع الكامل الضخم نحو ثمانين ألف دينار ( ٨٠ ألف دينار)[١]

وفي سنة ٩١٢ هـ/ ١٥٠٦م، قام الغوري باستكمال المشروع واتمامه فقام بعمل التالي:

١- أبطل المجراة القديمة بمصر العتيقة عند درب الخولي ( كوبري الملك الصالح حاليا)[٢] والتي سبق وعملها الناصر محمد، مما يعنى أن الغوري حول مجرى الماء أو المصدر من المأخذ من عند درب الخولي إلى مكان أخر، ولعل السبب في ذلك تعرض السور للنحر والتأكل فرأى الغوري أن يجعل له مأخذا قريبا من النيل ويكون عملا ضخما يضاف لسجلاته .

٢- عمل المجراة الجديدة الموجودة حاليا من عند فم الخليج وقد ذكر ابن اياس انها من عند مورد الحلفا[٣] وتبلغ حوالي ثمانية عشر متراً من على سطح الأرض، ولها سبع سواقي كما سنرى في الوصف الفني .

٣- أنشأ بئراً، وجعل لتلك البئر فوهة على النيل، وصنع لها سواقي نقالة، وجعل عدد من القناطر المعقودة على دعائم؛ متصلة بعضها ببعض تصل إلى باب الزغلة[٤] وهو المكان الذى شيد فيه الأشرف قايتباي السور القديم المتصل بسور صلاح الدين في منطقة السيد نفيسة رضي الله عنها. [٥]

---

[١] ابن اياس: البدائع، جـ٥٦/٤.

[٢] الششتاوي: متنزهات القاهرة، صـ ١١.

[٣] منطقة قديمة عمرت في العصر الأيوبي ونشط العمران فيها في العصر المملوكي ولاسيما في عصر الناصر محمد وبنى بها جامعه الجديد الناصري(مندثر) وتشغل الآن المنطقة التي تحد من دير النحاس بجوار كوبري الملك الصالح جنوبا وحتى سور مجرى العيون بفم الخليج من السيدة زينب شمالاً. للمزيد المقريزي: الخطط، جـ ١٧٥/٢. الششتاوي: متنزهات القاهرة، صـ ٣٢.

[٤] الزغلة: الدفعة من الماء ونحوه، ومُزْغَل جمعه مَزَاغِل، فتحة لرمي النشاب وغيره من سهام وما شابه تكون في أسوار القلاع والحصون، ولعل مرد التسمية لأمور ربما اشارة لاندفاع الماء خصوصا وأن تلك المنطقة يحدث فيها انكسار للسور واندفاع للماء، وربما استخدم قايتباي تلك الحيلة لحماية هذا السور من أي عدوان، ولا مانع من الجمع بين القولين، ومن الجدير بالذكر أن هذا الباب يفتح على مقابر ومدافن، يعدا فاصلا بينها وبين السور . أحمد رضا: معجم متن اللغة، جـ٣٩/٣. رينهارت: تكملة المعاجم العربية، جـ٣٣٣/٥.

[٥] ابن تغري بردي: بدائع الزهور، جـ١١٠/٤.

صورة لقطاع من باب الزغلة. مبين فيها رنك السلطان قايتباي الكتابي والخرطوش على جانبية.

وعليه فإن الغوري قد احدث تغيرا جزرياً في مسار السور والقناطر، حيث حول المأخذ من منطقة مصر القديمة إلى المجرى الحالي عند فم الخليج ثم صار الطريقان يلتقيان في نقطة ماء بالقرب من السيدة نفيسة ثم يمر بشارع صلاح سالم حتى يصل إلى القلعة.

القناطر في وثائق لجنة حفظ الأثار.

اتماماً للقول لابد من المرور على ما دونته محاضر لجنة حفظ الاثار للوقوف على مدى أهمية هذا المشروع الضخم، فقد نوهت له اللجنة في أكثر من موضع منها:

في محاضر اللجنة لسنة ١٨٨٤م، عاينت اللجنة هذا الأثر الرائع فوجدت عدة عقود مهدمة[١] وسقطت بعض اعمدتها وبما أن هذه السقاية معطلة، ولا تستخدم كأداة لتوصيل الماء إلى القلعة منذ سنة ١٨٧٢م وهي السنة التي أدخلت فيها شركة المياه توزيع الماء إلى القلعة وجميع أنحاء القاهرة، ومن ثم فإن فائدة تلك القناطر فائدة تاريخية وفقط وعليه قررت الآتي:

١- لا ينبغي تجديد ما تهدم

٢- وقاية الأجزاء المتبقية ووضع دعائم لها

٣- الشروع في العمل فوراً [٢]

وفي محاضر اللجنة لسنة ١٨٩١م جاء ما يلى .

١- تقدمت سيدة أجنبية تدعى روزة كوزيل لها قطعة أرض مجاورة للمجراة بشكوى وطلب لأخذ رأي اللجنة في احتمال حدوث ضرر لأملاكها من تشعث بعض أحجار المجراة.

٢- عاينت اللجنة الأثر ووجدته بحالة جيدة، غير أن بعض الأحجار العلوية مفككة والسفلى كذلك تحتاج إلى ترميم

---

[١] ذلك لأن تلك السقاية قد استخدمت في المناوشات بين المماليك من ذلك ما ذكره الجبرتي من ثمة قتال بين ايواظ بك ومحمد بك الصعيدي الذى تتبع فلول ايواظ وتربص له بمجراة السور وجعل له عليها بعض العسكر الذين تربصوا به فأصابوه في صدرة برصاصة اسقطته عن جواده، ومات على اثرها. كما أخبرنا الجبرتي كذلك عن بعض أفعال الفرنسيين بالعديد من الأثار الإسلامية ومنها سور مجرى العيون، فبعدما دمروا العديد من الأثار وحولوا بعد المساجد إلى قلاع وحصون خاصة بهم، سدوا بعض فتحات السور وجعلوها حصنا لحمايتهم، ومما لا شك فيه تعرض هذا الأثر للقصف والعبث الأمر الذى أثر عليه بالسلب ، للمزيد عجائب الأثار في التراجم والأخبار، جـ١/٧٥. جـ٢/٤٣٣.

[٢] محاضر اللجنة لسنة ١٨٨٤م، التقرير رقم (١١) للقومسيون الثاني، صـ ٤١.

٣- إزالة بعض الأحجار العلوية وتنكيس الجزء السفلي في المنطقة المجاورة لأرض المذكورة [١]

وفي محاضر اللجنة لسنة ١٨٩٢م ورد تقريرا في غاية الأهمية عن المجراة يفسر سر الهدم والقطع في السور عند محطة مترو السيدة زينب رضي الله عنه بالقرب من مستشفى ٧٥٣٧٥.

وقد ورد في هذا التقرير ما يلى:

تقدم شخص يدعى إمام شافعي بمذكرة يشكو فيها من تضرره من السور بسبب تملكه لقطعة أرض مجاورة وأن السور مختل في تلك الناحية مما يسبب له ضراراً بالغاً، ولهذا يلتمس ترميم هذا الجزء، وتعويضه مادياً عن الجزء الفضاء الذى سيضر مرغما تركه من الأرض لأن نظارة الأشغال قد أجبرته بالبعد ثلاثة أمتار عن موضع القناطر !!

وعليه فقد قرر الكومسيون ما هو آت :

١- يُطلب من نظارة الأشغال العمومية ( وزارة الموارد المائية والري) أن تقوم بهدم الجزئيين العلويين من شرم المجرى كما تم مع الفتحة التي أُحدثت لمرور سكة حديد حلوان، وتهدم ايضا الأربعة مداميك العلوية للكتف المجاور لصاحب الأرض.

٢- يتم الاحتفاظ بالسرة المكتوبة المتداخلة في الجانب القبلي المتهدمة عن الشرم [٢] بالانتيكخانة ( متحف الفن ) [٣]

صور تبين مقدار وشكل النحر أو القطع في السور من عند محطة مترو السيدة زينب.

---

[١] محاضر اللجنة ١٨٩١م، التقرير (١٢٣) صـ ٨٤.

[٢] قلت وهذا من البلاء بمكان أن اللجنة المكلفة لم تجد سوى مكان تلك الكتابة التاريخية وتقوم بعمل الفتحة من جهتها وكان من الممكن التأخر يمنة أو يسرة ببضعة أمتار حتى تتفادى هذا الحدث المهم.

[٣] محاضر ١٨٩٢ صـ ٨٥

وفي محاضر اللجنة للسنة التالية ورد ذكر السقاية فقد جاء فيها استكمالاً لما تم ذكره في المحضر السابق، وبعد معاينة الأثر من أول باب القرافة (بالسيدة عائشة ) إلى فم الخليج وهي المناطق الممتدة من ميدان السيدة عائشة مرورا بشارع صلاح سالم [١] من عند ميدان السيدة نفيسة مروراً بباب الزغلة وصولاً إلى فم الخليج. فلم يجد به ما يدعو للقلق أو الخوف. [٢]

وفي محاضر اللجنة لسنة ١٨٩٤م، خصصت نظارة الأشغال مقايسة بمبلغ ٥٥٠ جنيها تدفع إلى لجنة حفظ الأثار لإجراء عمليات الترميم اللازمة[٣]

وفي محاضر اللجنة لسنة ١٨٩٦م، ورد ما يفيد بانهيار جزء من السور في شارع المذبح ( بالسيدة زينب)[٤]

وفي محاضر اللجنة لسنة ١٨٩٨م أرسل شخصا برغبته في شراء قطعة أرض مجاورة للمجرى من الجهة القبلية غرب المدابغ، عند المجرى القديم الذى أقامه صلاح الدين،[٥] وتمت الموافقة علي البيع شريطة ان يراقب أحد أعضاء اللجنة أعمال الحفر التي ستتم ونقل أي تحف أو اثار تظهر إلى المتحف[٦]

وفي محاضر اللجنة لسنة ١٨٩٩م، رغب أحد الأجانب واسمه جورج شوتس في شراء قطعة أرض جوار السور وملاصقة لمشروع ملكه فسُمح له بذلك[٧]

وفي محاضر اللجنة لسنة ١٩٠٠م، نلمس ثمة خلاف بين محافظة القاهرة من جهة وبين نظارة الأشغال واللجنة من جهة أخرى، ذلك أن المحافظة قامت بتأجير بعض الاراضي الملاصقة للسور دون الرجوع للنظارة أو اللجنة!!

وعليه فقد حدث تفاهم بين اللجنة والنظارة بعدم السماح بالتأجير أو التصرف في أي قطعة أرص ملاصقة للمجراة دون الرجوع إليهما. [٨]

وفي محاضر ١٩٠١م، ورد خطاب يفيد أن قومبانية [٩] المياه قد صرفت نظرها عن وضع خزان المياه التي كانت تعتزم وضعه أعلى القناطر، لعدم متانة الحائط[١٠]

---

[١] لم يكن موجودا حينها.

[٢] محاضر ١٨٩٣م، صـ ١٨.

[٣] لجنة حفظ الأثار صـ ٣٣

[٤] صـ ١٣١.

[٥] المنطقة الواقعة بالقرب من الفسطاط، فيما بين مصر العتيقة والسور، والتي تحاول الدولة الآن عمل مشروع سياحي ضخم بها من أول تلك البقعة مروراً بعين الصيرة وحتى الفسطاط، وتحويل هؤلاء الصناع والحرفيين إلى ورش في منطقة الروبيكي. بالقرب من مدينة بدر.

[٦] صـ٣٣

[٧] صـ٩٣.

[٨] صـ ١٠١.

[٩] ترجمة للكلمة الإنجليزية company . وتعني الشركة.

[١٠] صـ٦٩.

وفي محاضر سنة ١٩٠١م، تم اعتماد خمسمائة جنيها ( ٥٠٠ ج) لترميم فم الخليج [١]

وفي سنة ١٩٠٢م، تم هدم غرفة كانت تحجب الرؤية عن الأثر، كما طالبت اللجنة نظارة الأشغال بمراعاة عمل طريق بعرض اربعة أمتار بجانب الأثر، كما قامت اللجنة بالشروع في عمل حائط بدربزين حديد لحماية الواجهة البحرية من الردم.

تم رفع الماء الراكد من الحوض أو الخزان الملاصق لفوهة برج المأخذ، فتم فتح مصرفا متصلا بالبحر لتصريف تلك المياه [٢]

ولما كانت تصريف تلك المياه إلى ماء النيل يترتب عليه أضرار بالغة فتم كسح تلك المياه عبر عربات الكسح المخصصة لتلك الأغراض وتكلفت العملية ١٦ جنيها و٦٣٢ مليماً[٣]

وفي التقرير رقم (٣٤٠) لمحاضر اللجنة لسنة ١٩٠٥م، جاء ما يلى:

بناء على زيارة للقسم الفني للأثر وطبقاً للمبلغ المخصص من الحكومة وهو مبلغ أربعة آلاف جنيها وقد جاء توصيف المجرى بناء على زيارة القسم الفني على النحو التالي:

١- تمتد تلك السقاية على هيئة عقود بسيطة أكثر من ثلاثة كليو مترات من فم الخليج وحتى باب القرافة.

٢- يبلغ ارتفاعها من فم الخليج وحتى مسافة كليو سبعة عشر متراً ثم يأخذ هذا الارتفاع في النقصان بسبب ارتفاع سطح الأرض كلما اتجهنا إلى القلعة حتى يصل إلى نحو متر ويقل كلما اتجهنا نحو القلعة.

٣- هذا البناء آيل للسقوط وبه عدة قطوع أصبح على اثرها مقسم للعديد من الأقسام ما بين خطوط سكة حديد حلوان وخط عين الصيرة

ومن ثم يقترح القسم الفني ما يلي:

١- كشف الواجهتين البحرية والغربية لبداية المجرى الكائنة عند فم الخليج وهي عبارة عن بناء مثمن الشكل والحفاظ على السواقي بها[٤]

٢- تقوية بعض العقود المتضررة من احداث فتحة من أجل خط سكة حديد حلوان .

٣- ازالة الاتربة من عند باب قايتباي ( باب الزغلة) واتخاذ أسباب الوقاية، وبالمناسبة فقد كان هناك سبيلاً للماء في تلك الناحية يأخذ مياهه من تلك المجراة.... [٥]

وفي عام ١٩٠٦م، حدث ترميما لرأس فم الخليج بلغت قيمته وقتها (٤٥ جنيهاً) [٦]

---

[١] صـ٩٧.

[٢] صـ ٢٨.

[٣] صـ ٦٦

[٤][٤] في الشكل الحالي لهذا المبنى نجده مسدس الشكل فربما أن التوصيف الذى حددته اللجنة توصيفاً غير دقيق، كذلك لم تعين اللجنة عدد السواقي التي رأتها.

[٥] صـ ٥٩.

[٦] صـ ٤٦.

وفي عام ١٩٠٧م، سدت الفتحات بالواح خشبية من أجل حفظ المجاورين من الروائح الكريهة المنبعثة، فتمت إزالة الأتربة وسد الفتحات[١]

ومن الجدير بالذكر أن اللجنة قد حفظت لنا العديد من الصور النادرة للأثر من ناحية فم الخليج تعد من النوادر.

فم الخليج ويوجد بجواره خط السكة الحديد عند فم الخليج بالقرب من محطة مترو السيدة الحالية.

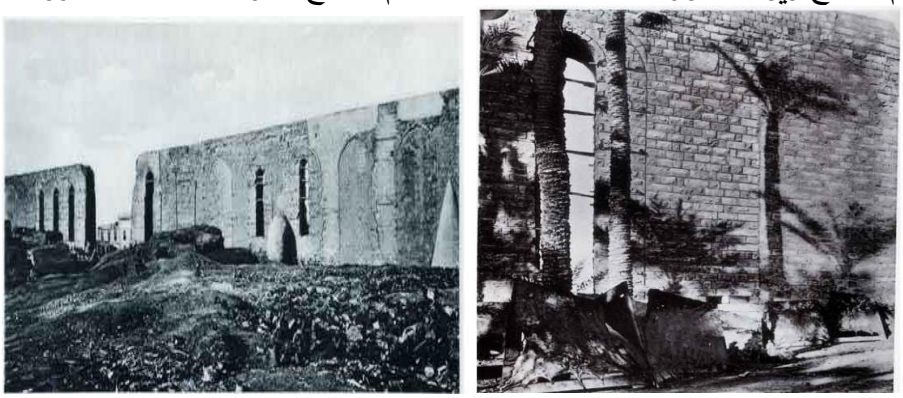

صورة أخرى لفم الخليج وقد سدت الفتحات ونلاحظ وجود رنك الغوري وكذا وجود أشجار نخيل مجاورة للمبنى. وصورة أخرى للشرم أو القطع من عند فم الخليج.

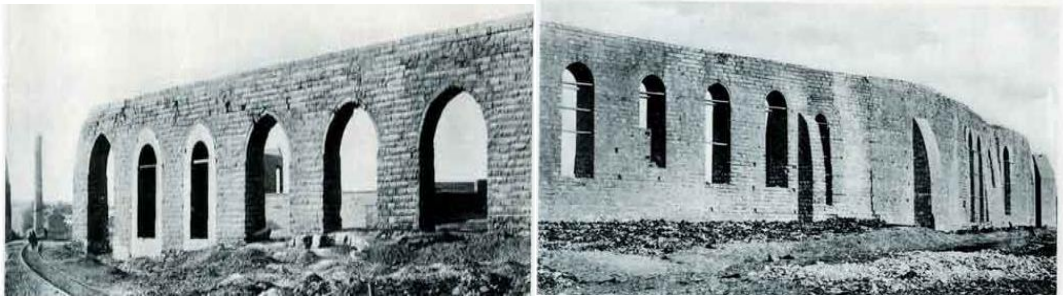

صورة لفم الخليج يظهر منها الدعامات الساندة وشكل العقود. وصورة أخرى تبين التفاف السكة الحديد حول المجرى . منقول عن محاضر اللجنة ١٩٠٧م.

وفي محاضر اللجنة لنفس السنة ورد كلاما في غاية الأهمية يفسر الأسباب التي أدت احداث كثير من التلف والتدمير الذى نال قطاعا كبيراً في هذا الأثر المهم. فقد جاء فيه ما يلى:

١- هذا المجراة أو السقاية الموصلة للماء إلى قلعة الجبلة اشتغلت بها اللجنة غير مرة بسبب تداعيها في جملة نقط وفي سنة ١٨٨٦م اقترح فرنس باشا فحصها من أجل تعيين الجهات التي ينبغي هدمها![٢]

---

[١] صـ ١٤.

[٢] انظر محاضر اللجنة ١٨٨٦م، محضر رقم ( ٢٤) ص ٢١.

٢- كثرت الشكاوى من الخلل في المنطقة من أول خط سكة حديد حلوان وحتى عين الصيرة، وتلك الجهة فاصلة بين خطط القاهرة في جنوب مصر ومصر القديمة، ولما كان مرور المارة يكثر من تلك الجهة، قررت اللجنة إما تقوية الأجزاء المتشعثة أو هدمها، ولما كان في غير مقدور اللجنة تحمل تكاليف التقوية، رأي القسم إزالة الأجزاء التي يخشى منها ...

٣- نسبت اللجنة السقاية لعصر الغوري، واعتمدت في ذلك على مصدرين متأخرين منها مصدر عربي وهو شذرات الذهب وقد أعتمد على نص أن الغوري أنشأ مجرى الماء من مصر إلى القلعة [١] ورواية أخرى أجنبية لصاحب كتاب التجريدة الفرنساوية والتي تذكر أن رأس المجراة في الجهة البحرية من جامع عمرو وأنشأها السلطان الغوري بعد عام ٩٠٧ هـ، ثم اعتمد الكاتب على وجود رنك للغوري يحمل اسمه ولقبة ! [٢]

والحق أن هذا كلام لا اساس له من الصحة من عدة وجوه اهمها.

١- أن الحنبلي مصدراً متأخراً جداً فابن العماد متوفى سنة ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨م، في حين أن الكاتب أغفل مصادر أخرى متقدمة مثل المقريزي المتوفى ٨٤٥ هـ / ١٤٤١م، وكذا ابن تغري بردي والمتوفى في سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م وكذا ابن اياس المتوفى ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م، وقد أوردت العديد من النصوص لهؤلاء المؤرخين في ثنايا البحث.

٢- الشيء بالشيء يذكر فإذا كان الدليل الذى ساقه الكاتب هو وجود رنك الغوري فلما أغفل وجود رنك **قايتباي**.

٣- تحديد المأخذ خطأ وهو كلام يهدم نظريته فالمأخذ الذى ذكره في مصر القديمة يعود لعصر الناصر صلاح الدين ثم الكامل مروراً بالناصر محمد والظاهر برقوق وقايتباي وحتى الغوري الذى حول المأخذ لموضعه الحالي عند فم الخليج. [٣]

ومن خلال ما تقدم يمكن القول: إن اللجنة حافظت إلى حد كبير في حفظ هذا الأثر برغم التحفظات والمآخذ الكثيرة التي يمكن أن تؤخذ عليها، من السماح للبعض بتأجير أو تمليك بعض القطع المجاورة، وبالسماح لاستمرار المدابغ، أو حتى السماح بمجاورة السكك الحديدية للأثر، الأمر الذى أثر سلباً على هذا الأثر الرائع، لكن يجب أن نضع في الاعتبار ضخامة العمل ومن ثم ضخامة المبلغ اللازم لحفظة وهو أمر ربما لم يكن في مقدور اللجنة وكان يحتاج لجهد الدولة مجتمعة وقتها. لكن تبقى الجهود التي بذلتها اللجنة في حفظ هذا الأثر جهود محمودة مشكورة، ولذا آثرت أن أشير لعمل اللجنة في هذا الأثر الرائع.

---

[١] ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م: جـ١٠/١٦١.

[٢] محاضر اللجنة صـ ١٢٨.

[٣] محاضر اللجنة صـ ١٢٧.

**الوصف الفني:**

يتكون الأثر القائم حاليا من المكونات التالية ( برج المأخذ– قناطر محمولة على دعامات – قناة مائية– خزان للمياه– سواقي لرفع الماء)

١– برج المأخذ، ومن اسمه تتضح وظيفته، فهو مبنى مسدس الشكل ، مشيد من الحجر النحيت، المشذب، محمول على عدد من العقود المدببة، ويتميز بوجود رنك السلطان الغوري، أعلى البناء يتصل هذا البرج ببر مردوم الآن، وعليه سبع سواقي ساقية أسفل البرج للرفع، وست سواقي أعلى البرج تشعث منها ثلاثة وزالت ولم يبقى إلا فتحات دالة عليها، وثلاثة سواقي لاتزال باقية حتى الآن.

أعلى هذا البرج خزان مياه، لتخزين المياه المرفوعة، ثم تتصل بمجرى مائي صغير، يصل بها إلى القناة أعلى القناطر، والتي تتميز بكونها متعرجة تأخذ في الضيق والانكسار كلما اقتربنا من القلعة، ويلاحظ وجود منحدرات ودرجات سلم، لصعود العمال والدواب المستخدمة في جر السواقي.

يبلغ طول السور حوالي ٣كم، ويبلغ عدد عقودها أكثر من مائتي وسبعين عقداً، وأقصى ارتفاع له، ٢٠م، ثم يأخذ في الانخفاض بسب ارتفاع الأرض كلما اتجهنا نحو القلعة ليبلغ نحو المتر تقريبا، ومن الجدير بالذكر أن السور يأخذ مساراً شبه مستقيم حتى يصل إلى صلاح سالم ثم ينكسر بشدة نحو القلعة.

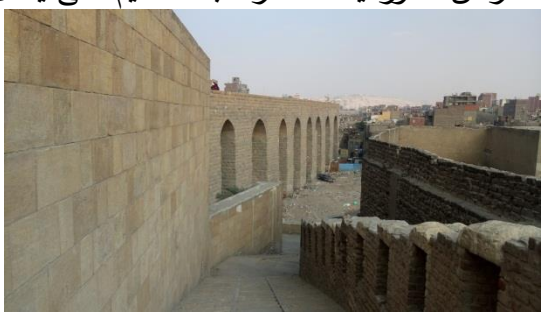

صورة لشكل السور من عند برج المأخذ، وشكل العقود، ورسم لشكل النيل وبرج المأخذ.

صورة للسواقي التي كانت تستخدم لرفع الماء.

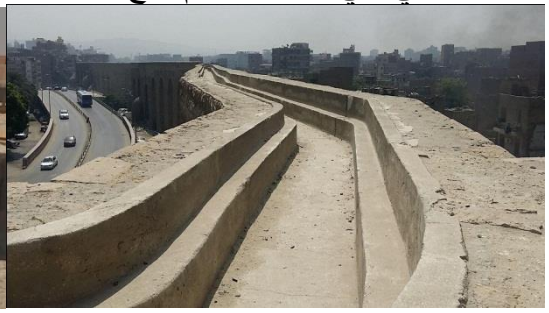

صورة للقناة يُلاحظ فيها الانكسار الشديد، وكذا صورة لخزان الماء بكاميرا الباحث.

رنكي الغوري وقايتباي.

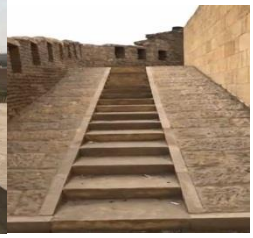

شكل المنحدر المتخذ لصعود الدواب والعمال، وشكل القناة والانكسارات فيها .

خريطة نقلا عن ريمون تبين شكل المجري قديما وحديثا وطريق سيره.

وبعد هذا العرض فاكتفي بذكر ما تقدم من عمائر ومشروعات مائية، تبرهن على مدى عظمة عصر سلاطين المماليك، فهو بحق عصر السحر والعظمة، وحتى يكتمل المقال أختم بالحديث عن الآثار الاقتصادية المترتبة على المنشآت سالفة الذكر.

**المبحث الرابع: الآثار الاقتصادية للمنشآت المتقدمة:**

مما لا شك فيه أن المنشآت سالفة الذكر كان لها بالغ الأثر على الحياة الحضارية بصفة عامة والحياة الاقتصادية بصفة خاصة، فالغرض من تلك المشروعات السالفة، لم يكن مجرد انشاء عمائر لمجرد تدوين أسماء السلاطين والأمراء في سجلات الشرف، كما هو الحال في بعض المنشآت كالمساجد والقصور وغيرهما. فالحال هنا يختلف، فكل منشأة من تلك المنشآت كانت الغاية منها هو تحصيل النفع ودفع الضر لأقصى غاية، وفي هذا المبحث الختامي سنحاول التعرف على مدى حدوث هذا الأثر وتحققه فعلياً.

١- **مقياس النيل.**

مما لا شك فيه أن مقياس النيل كان أحد أهم المشاريع المائية التي ساهمت كثيرا في الارتقاء بالحياة الاقتصادية، سيما في العصر المملوكي، وقد بلغ من اهتمامهم به أن جعلوا على رأسه موظف إداري له جهاز يعاونه يعرف بمتولي المقياس، ولعل السبب في اهتمام السلاطين والمماليك بالمقياس ارتباطه بالنيل، شريان الحياة وسر بقائها، ورمانة الميزان في مصر، فتناولته يد الاهتمام منذ أقدم العصور، كما سبق وأشرت، وخصوصا في عصر الظاهر بيبرس، الذى جعل قبة أعلاه لا تزال موجودة إلى الآن، وظلت يد العناية والاهتمام تتناوله من عصر إلى عصر ومن سلطان إلى أخر [١]

وكان الغرض الأساسي من تشييد هذا المقياس هو معرفة زيادة النيل ونقصانه، وبناء على هذا يتم عمل جدول سنوي، لمعرفة وقت الفيضان ومن ثم تنظيم عملية الري من خلال معرفة وقت الفيضان، ووقت الانحسار.

وكانت من العادات المتبعة نزول السلاطين وفتح السد، والاحتفال بوفاء النيل، وكان هذا يتم وفقاً لجدول زمني محدد ومعين.

وكان لوفاء النيل بشارة عظيمة عند جموع أهل مصر حاكمهم وعوامهم، لما فيه من عموم المنافع الشاملة، وشمول النّعم الكاملة، والخصب الذى يتساوى في الانتفاع به الغنىّ والفقير، والمأمور والأمير [٢] ففي وفاء النيل حياة البلاد والعباد على حد قول الصفدي[٣]

وقد حدد لنا القلقشندي الموعد الذى يتم فيه الاحتفال بوفاء النيل حيث ذكر أنه يكون في السابع والعشرين من بؤونة وقد سبق وأشرت إلى هذا الأمر .

وكانت مظاهر الاحتفال والاحتفاء بوفاء النيل بمثابة عيد قومي حيث ينزل السلطان إلى الميدان بباب اللوق، وهو الميدان الذى بناه الصالح نجم الدين أيوب، ينزل السلطان مع المماليك في جو كرنفالي، يلعب الكرة، ويتم عمل المواكب وتعم الأفراح والاحتفالات في شتى ربوع مصر [٤]

---

[١] ياقوت: معجم البلدان، جـ٥/١٧٨. أحمد عبد الرزاق: العمارة الإسلامية في مصر، صـ٣٢.

[٢] النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ٥/١٤٠.

[٣] أعيان العصر وأعوان النصر، ٣/١٩٧.

[٤] القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٣/٤٢٨.

ولست الآن بصدد الحديث عن وصف تلك الاحتفالات أو تفصيل القول عنها، ولكن آثرت أن أشير إليها للتنبيه على مدى اهتمام الحكام بمثل هذا العمل العظيم، والذى يتحدد عليه المحاصيل ونسبة الأرض المزروعة ومن ثم تقدير نسبي لما يرد إلى خزينة الدولة من ايرادات بسبب المحاصيل المختلفة، وعليه نجد أن عددا من المؤرخين اهتم بالإشارة إلى قدر الزيادة والنقص في كل عام.

| السنة | مقدار الزيادة | الفارق بين العامين |
|---|---|---|
| ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م | ١٨ ذراع واصبع واحدة. | ١ ذراع و ٤ أصبع عن العام السابق زيادة. |
| ٦٥٨/ ١٢٦٠م | ١٨ ذراع و ١١ أصبع | زيادة ١٠ أصبع |
| ١٢٦١/٦٥٩م | ١٧ ذراع و ١٣ أصبع | نقص بحوالي مقدار ٢٢ أصبع |
| ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م | ١٨ ذراع | زيادة ١١ أصبع علي اعتبار أن الذراع ٢٤ أصبع |
| ١٢٦٣/٦٦١ | ١٧ ذراع و ١٣ أصبع | نقص بمقدار ١١ أصبع |
| ٦٦٢/ ١٢٦٤ | ١٧ ذراع و ١٢ أصبع | نقص بمقدار أصبع |
| ٦٦٣/ ١٢٦٥ | ١٦ ذراع و ١٤ أصبع | نقص بمقدار ذراع وخمسة أصبع وبمقدار ذراعان عن الأعوام السابقة |
| ١٢٦٦/٦٦٤م | ١٨ ذراع و ١٢ أصبع | زيادة بنحو ذراعين |
| ١٢٦٧/٦٦٥ | ١٦ ذراع و ١٤ أصبع | نقص بنحو ذراعين |
| ١٢٦٨/٦٦٦ | ١٨ ذراع | زيادة بنحو ذراع ونصف |
| ١٢٦٩/٦٦٧م | ١٧ ذراع و ٧ أصبع | نقص بمقدار ١٧ اصبع |
| ١٢٧٠/٦٦٨م | ١٧ذراع و ٢٢ اصبع | مقدار الزيادة ١٥ اصبع |
| ١٢٧١/٦٦٩م | ١٦و ١٢ أصبع | مقدار النقص ذراع ونصف |
| ٦٧٠/ ١٢٧٢م | ١٨ ذراع و ١١ اصبع | مقدار الزيادة نحو ذراعين |
| ٦٧١/ ١٢٧٣م | ١٧ ذراع و ١٣ أصبع | مقدار النقص نحو ذراع إلا بضعة أصبع |
| ٦٧٢/ ١٢٧٤م | ١٧ ذراع و ٦ أصبع | مقدار النقص ٧ أصبع |
| ١٢٧٥/٦٧٣م | ١٧ ذراع و٣ أصابع | مقدار النقص ٣ اصبع |
| ١٢٧٦/٦٧٤م | ١٧ ذراع و ١٥ اصبع | مقدار الزيادة ١٢ أصبع |
| ١٢٧٧/٦٧٥م | ١٨و ١١ أصبع | مقدار الزيادة نحو الذراع |
| ١٢٧٨/٦٧٦م | ١٨ذراع و ٨ أصبع | مقدار النقص ٣ أصبع |
| ١٢٧٩/٦٧٨ | ١٨و ٥ أصبع | مقدار النقص ٢ أصبع |
| ١٢٨٠/٦٧٩م | ١٨ ذراع وأصبع | مقدار النقص ٤ أصبع |
| ١٢٨١/٦٨٠م | ١٨ ذراع و ٤ أصبع | مقدار الزيادة ٣ أصبع |
| ١٢٨٢/٦٨١م | ١٧ ذراع و ١٨ أصبع | مقدار النقص ١٠ أصبع |
| ١٢٨٣/٦٨٢ | ١٧ ذراع و ٨ أصبع | مقدار النقص ١٠ أصبع |

| | | |
|---|---|---|
| ٦٨٣/ ١٢٨٤ | ١٧ ذراع و ٣ أصبع | مقدار النقص ٥ أصبع |
| ٦٨٤/ ١٢٨٥ | ١٦ ذراع و ٢٠ أصبع | مقدار النقص ٧ أصبع |
| ١٢٨٦/٦٨٥ | ١٧ ذراع و ٤ أصبع | مقدار الزيادة ٨ أصبع |
| ١٢٨٧/٦٨٦ | ١٧ ذراع و ١٠ أصبع | مقدار الزيادة ٦ أصبع |
| ١٢٨٨/٦٨٧ | ١٨ ذراع و ٤ أصبع | مقدار الزيادة ١٨ أصبع |
| ١٢٨٩/٦٨٨ | ١٧ ذراع و ١٠ أصبع | مقدار النقص ١٨ أصبع |
| ١٢٩٠/٦٨٩م | ١٥ ذراع و ٢ أصبع | مقدار النقص ذراعان و ٨ أصبع [١] |
| ١٢٩١/٦٩٠م | ١٧ ذراع و ٧ أصبع | مقدار الزيادة ذراعان و٥ أصبع |
| ١٢٩٢/٦٩١م | ١٧ ذراع | مقدار النقص ٧ أصبع |
| ١٢٩٣/٦٩٢م | ١٧ ذراع و ١٢ أصبع | مقدار الزيادة ١٢ أصبع |
| ١٢٩٤/٦٩٣م | ١٥ ذراع و ٧ أصبع | مقدار النقص ذراعان و ٥ أصبع [٢] |
| ١٢٩٥/٦٩٤م | ١٦ ذراع و ١٠ أصبع [٣] | مقدار الزيادة ذراع و ٣ أصبع [٤] |
| ١٢٩٦/٦٩٥م | ١٨ ذراع و اصبع | مقدار الزيادة ذراعان و ٩ أصبع [٥] |
| ١٢٩٧/٦٩٦م | ١٥ ذراع و ١٨ أصبع | مقدار النقص ٣ أذرع و ١٧ أصبع [٦] |

---

[١] وقد ذكر ابن تغري بردي أن النيل لم يوف في تلك السنة، أي أن تلك السنة من السنوات التي تأثر بها الاقتصاد ولو بشكل نسبي بسبب قصور النيل. جـ٧/٣٨٦.

[٢] ذكر المقريزي، أن النيل قصر في تلك السنة ولم يوف فبلغ خمسة عشر ذراعاً والثلث، وغلت الأسعار في تلك السنة. وهذا يدلل على مدى اهمية المقياس وأهمية النيل في الاقتصاد المصري. للمزيد السلوك، جـ٢/ ٢٥٦.

[٣] ذكر المقريزي أنه بلغ ستة عشر ذراعا وسبع عشر إصبعا ثم هبط ولم يعود وتزايد الغلاء؛ وعم البلاء، وبلغ سعر الأردب مائة وخمسين درهماً !!. السلوك، جـ٢/٢٦٢.

[٤] ذكر المقريزي: أن الغلاء تزايد بمصر والشام لقصر النيل وعدم نزول الغيث وبلغ أردب الغلال في تلك السنة تسعين درهما لفقده في الأسواق وندرته. للمزيد. السلوك، جـ٢/٢٦١.

[٥] ذكر المقريزي أن تلك السنة شهدت غلاء فاحشاً، ثم وضع لنا دراسة احصائية سريعة كالتالي : الأردب القمح = ١٨٠ درهما. الشعير = ١٠٠ درهما أو ما يزيد بقليل. الفول = ٩٠ درهما. الترمس = ٦٠ درهما. ثم أن النيل وفي ١٦ ذراعا ثم نقص نقصا شديداً ثم زاد. وزادت الأسعار وعم الوباء والبلاء. اضف لذلك ظهور الطاعون الأسود في مصر. قلت : ولعل هذا من أبلغ الأسباب التي أدت إلى تقويض ملك زين الدين كتبغا وعدم استقرار الملك له، وهذا من ابلغ الاشارات والدلائل على أثر الاقتصاد على السياسة ونظام الحكم. للمزيد راجع أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ٤ / ٣٣. المقريزي: السلوك، جـ٢/ ٢٦٦-٢٦٧. ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ١، ق ١ / ٣٩٠.

[٦] ذكر المقريزي أن النيل توقف عن الزيادة، وزادت الأسعار ومن العجيب ظهور دواب وهوام أكلت الكثير من المحاصيل وأتلفت الكثير من الزرع، وذكر ابن اياس أن النيل بلغ خمسة عشر ذراعا وثمانية أصابع، ثم انهبط ولم يوف فشرقت البلاد ووقع الغلاء. السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ ٢ /٢٨٠. بدائع الزهور: جـ١/ق١ – ٣٩٣.

| | | |
|---|---|---|
| ١٢٩٨/٦٩٧م | ١٧ ذراع و ١٠ أصبع | مقدار الزيادة ذراعان و ٨ أصبع [١] |
| ١٢٩٩/٦٩٨م | ١٧ ذراع و ١٦ أصبع | مقدار الزيادة ٦ أصبع |
| ١٣٠٠/٦٩٩م | ١٦ ذراع و ٦ أصابع | مقدار النقص ذراع وعشرة أصبع |
| ٧٠٠هـ/ ١٣٠١م | ١٦ ذراع و ١٨ أصبع | مقدار الزيادة ١٢ أصبع |
| ١٣٠٢/٧٠١م | ١٦ ذراع و ١٣ أصبع | مقدار النقص ٥ أصبع |
| ١٣٠٣/٧٠٢م | ١٨ ذراع | مقدار الزيادة ٢ ذراع و ١٣ أصبع |
| ١٣٠٤/٧٠٣م | ١٦ ذراع و ١٦ أصبع | مقدار النقص ذراع و ١٨ أصبع |
| ١٣٠٥/٧٠٤م | ١٦ ذراع و ١٢ أصبع | مقدار النقص ٤ أصبع |
| ١٣٠٦/٧٠٥م | ١٦ ذراع و ١٥ أصبع | مقدار الزيادة ٣ أصابع |
| ١٣٠٧/٧٠٦م | ١٧ ذراع و ٧ أصبع | مقدار الزيادة ١٦ أصبع |
| ٧٠٧/ ١٣٠٨م | ١٨ ذراع و أصبع [٢] | ذراع و ٨ أصبع |
| ٧٠٨/ ١٣٠٩م | ١٨ ذراع واصبع | – |
| ١٣١٠/٧٠٩م | ١٦ ذراع واصبعين | مقدار النقص حوالي ذراعين [٣] |
| ١٣١١/٧١٠م | ١٨ ذراع و ٣ اصبع | مقدار الزيادة ذراعان و أصبعان |
| ١٣١٢/٧١١م | ١٦ ذراع و ٢١ أصبع | مقدار النقص ذراع وست اصابع |
| ٧١٢/ ١٣١٣م | ١٦ و ٢٢ أصبع | مقدار الزيادة أصبع |
| ٧١٣/ ١٣١٤م | ١٦ ذراع و ٧ أصبع | مقدار النقص ١٧ أصبع |
| ١٣١٥/٧١٤م | ١٦ ذراع و ١٧ أصبع | مقدار الزيادة ١٠ أصبع |
| ١٣١٦/٧١٥م | ١٧ ذراع و ١٧ أصبع | مقدار الزيادة ذراع واحد |
| ١٣١٧/٧١٦م | ١٧ ذراع و ٢٢ أصبع | مقدار الزيادة ٥ أصبع |
| ٧١٧/ ١٣١٨م | ١٨ ذراع [٤] | مقدار الزيادة ٢ أصبع |
| ١٣١٩/٧١٨م | ١٦ ذراع و ١٧ أصبع | ذراع و ٧ أصبع |

[١] ذكر ابن اياس أن النيل أوفى ولكن لم يثبت فوقع الغلاء وشرقت البلاد. بدائع الزهور، جـ١/٣٩٧.

[٢] ذكر المقريزي أن النيل بلغ في تلك السنة ثمانية عشر ذراعاً وإحدى وعشرين إصبعا. السلوك جـ٢/٤١٧.

[٣] تعتبر تلك السنة من السنين العجاف، حيث توقفت زيادة النيل إلى أن دخل شهر مسرى، وارتفع سعر القمح، إلى خمسين درهماً، والفول نحو عشرين درهماً، وبلغ النيل خمسة عشر ذراعاً وسبعة عشر اصبعا ولم يوف ستة عشر اصبعا، وتشأم الناس من حكم بيبرس الجاشنكير. وتشحطت الغلال وارتفع الخبز واضطربت الأحوال. المقريزي: السلوك، جـ ٢/٤٣١. ابن اياس : بدائع الزهور، جـ١ ق ١ / ٤٢٤.

[٤] ذكر المقريزي أن مبلغ الزيادة انتهى إلى ثمانية عشر ذراعاً وستة أصابع وفسد من ذلك عدة مواضع لقلة الاعتناء بالجسور والسدود، ولعل في هذا اشارة إلى الخلل السياسي القائم فيما قبل الفترة الثانية للناصر، وفترة الاضطرابات في تلك الحقبة. المقريزي: السلوك، جـ٢/٥٢٣.

| | | |
|---|---|---|
| ١٣٢٠/٧١٩م | ١٧ ذراع و ١١ أصبع | مقدار الزيادة ١٨ أصبع |
| ١٣٢١/٧٢٠م | ١٦ ذراع و ٢٢ أصبع | مقدار النقص ١٣ أصبع [١] |
| ١٣٢٢/٧٢١م | ١٦ ذراع و ٥ أصبع | مقدار النقص ١٧ أصبع |
| ١٣٢٣ /٧٢٢م | ١٦ ذراع و ٢١ أصبع | مقدار الزيادة ١٦ أصبع |
| ١٣٢٤/٧٢٣م | ١٨ ذراع و ٦ أصابع | مقدار الزيادة ذراع و ٩ أصابع |
| ١٣٢٥/٧٢٤م | ١٨ ذراع و ١٩ أصبع [٢] | مقدار الزيادة ١٣ أصبع |
| ١٣٢٦/٧٢٥م | ١٦ ذراع و ٢١ أصبع | مقدار النقص ما يقرب من ذراعين [٣] |
| ١٣٢٧/٧٢٦م | ١٧ ذراع و ١٩ أصبع | مقدار الزيادة ٢٢ أصبع |
| ١٣٢٨ /٧٢٧م | ١٧ ذراع و ٥ أصبع | مقدار النقص ١٤ أصبع |
| ١٣٢٩/٧٢٨م | ١٨ ذراع و ٩ أصبع | مقدار الزيادة نحو الذراع |
| ١٣٣٠ /٧٢٩م | ١٦ ذراع و ٥ أصبع | مقدار النقص نحو ذراعان |
| ١٣٣١/٧٣٠م | ١٧ ذراع | مقدار الزيادة ذراعان |
| ١٣٣٢ /٧٣١م | ١٦ ذراع و ٢٢ اصبع | مقدار النقص ١٢ أصبع |
| ١٣٣٣ /٧٣٢م | ١٨ ذراع و ١١ أصبع [٤] | مقدار الزيادة ذراع و ١٤ أصبع |
| ١٣٣٤ /٧٣٣م | ١٧ ذراع و ١٦ أصبع | مقدار النقص ١٩ أصبع |
| ١٣٣٥ /٧٣٤م | ١٦ ذراع و ٢٢ أصبع | مقدار النقص ١٨ أصبع |
| ١٣٣٦/٧٣٥م [٥] | ١٨ ذراع و ٢١ أصبع | مقدار الزيادة نحو ذراعان [٦] |
| ١٣٣٧/٧٣٦م | ١٨ ذراع | مقدار النقص ٢١ أصبع |
| ١٣٣٨ /٧٣٧م | ١٧ ذراع و ١٦ أصبع | مقدار النقص ٧ أصبع |
| ١٣٣٩ /٧٣٨م | ١٦ ذراع و٢٠ أصبع | مقدار النقص ٢٠ أصبعاً [٧] |

[١] ذكر ابن تغري بردي أن النيل هبط فشرقت الأرض. النجوم الزاهرة، جـ٩/٢٥١.

[٢] ذكر المقريزي نفس المقدار من الزيادة، فغرقت الأقصاب والمعاصر والكثير من شون الغلال ومخازن القمح، وصارت المراكب لا تجد فيه براً، وغرقت الفيوم لانقطاع جسرها. السلوك، جـ ٣/ ٧٥.

[٣] ذكر ابن اياس أن النيل جاء في تلك السنة شحيحاً، ووقع الغلاء، واضطربت الأحوال. بدائع الزهور جـ١/ ٤٥٧.

[٤] انظر خبره في السلوك للمقريزي. جـ٣/ ١٦٠.

[٥] هي السنة التي أنشأ شرع فيها الناصر بعمارة قناطر أبي المنجا.

[٦] ذكر المقريزي وفيها بلغت زيادة النيل ثمانية عشر ذراعاً وإحدى عشر إصبعاً، فعم النفع أرجاء البلاد. السلوك، جـ٣/١٩٠.

[٧] تعد تلك السنة من السنين الغريبة التي تجمعت فيها الاضداد، ففي تلك السنة رُخص سعر الغلال حتى أبيع أردب القمح بعشرة دراهم، بل ووصل إلى ثمانية، وبيع الفول والشعير بستة دراهم وكسدت الغلال، وفيها كذلك سقط سيلاً عظيماً تهدمت بسببه العديد من الأماكن وتضررت منه المحاصيل، وحصل به ضرر بالغ، كما قام الناصر بعمل جسر أمبابة، وفيه أكلت الفئران والهوام العديد من المحاصيل في صعيد مصر، وفي تلك السنة لم يوف النيل ونقص حتى بلغ سعر القمح عشرين درهماً، وكانت سنة شديدة على حد وصف المقريزي: قلت والعجيب اجتماع الرخص والغلاء، والشدة والرخاء في عام واحد. السلوك: جـ٣/ ٢٣٤– ٢٤٩.

| | | |
|---|---|---|
| ٧٣٩/ ١٣٤٠م | ١٦ ذراع و ١٠ أصابع | مقدار النقص ١٠ أصابع [١] |
| ٧٤٠/ ١٣٤١م | ١٧ ذراع و ٨ أصابع | مقدار الزيادة ٢٢ أصبع [٢] |
| ٧٤١/١٣٤٢م [٣] | ١٦ ذراع و ١٩ أصبع | مقدار النقص ١٣ أصبع |
| ٧٤٢/ ١٣٤٣م | ١٧ ذراع وأصبع | مقدار الزيادة ٦ أصابع [٤] |
| ٧٤٣/١٣٤٤م | ١٧ ذراع | مقدار الزيادة أصبع |
| ٧٤٤/١٣٤٥م | ١٨ ذراع و ١٧ أصبع | مقدار الزيادة ذراع و ١٧ أصبع [٥] |
| ٧٤٥/١٣٤٦م [٦] | ١٨ ذراع و ١٧ أصبع [٧] | سواء _ |

سأكتفي بذكر ما سبق من السنوات السالفة الذكر، كنموذج استرشادي، يوضح ويدلل على مدى أهمية المقياس، الأمر الذ جعل مؤرخاً كابن تغري بردي، يذيل كلامه عن حوادث كل سنة بذكر أمر النيل، وهو المرجع الذى اعتمدت عليه في هذا الاحصاء، ولعل أهم ما نلمسه هو وجود حد أدنى وحد أقصى، فما قل عن ستة عشر ذراعاً يمثل أزمة وما زاد عن ثمانية عشر ذراعاً يترتب عليه هدم وغرق، ولذا كان الاهتمام بعملية الجسور والسدود، ومحاولة الاستفادة بعملية الانحسار والفيضان بأقصى درجة ممكنة.

من ذلك ما ذكره المقريزي في العديد من المواضع عن انحسار النيل، هذا الانحسار الذى ترتب عليه ظهور أرض جديدة، منها مثلا: أرض منشأة الفاضل، والتي ظهرت فيما بعد عام سنة خمسمائة هجرية

---

[١] ذكر المقريزي، أن النيل بلغ ستة عشر ذراعاً وعشر أصابع، ولم ترو الأرض كلها، ومع هذا تحسنت سعر الغلال. السلوك: جـ٣/٢٦٠.

[٢] في تلك السنة نقص النيل ثم زاد ستة أصابع ثم ثمانية أصابع، وقد ذكر أن النيل زاد ١٧ ذراع و ١٩ أصبع . المقريزي: السلوك، جـ٣/ ٢٧٠. ٢٨٨

[٣] السنة التي مات فيها الناصر محمد

[٤] المقريزي: السلوك، جـ٣/٣٤٠.

[٥] تلك السنة من السنين التي تسبب فيها الفيضان في احداث مشكلات على الصعيد الاقتصادي، فقد ذكر المقريزي" واتفق في زيادة النيل أنه كان وفاؤه يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول وهو سابع عشر مسرى فزاد زيادة كبيرة بعد الوفاء حتى فاض من جهة قرموط من الخليج وطلع من الأسربة (مجاري أو قنوات ) فركب الوالي إلى بولاق وركب النائب إلى جسر بركة الحبش في عدة من الأمراء وأقام ثلاثة أيام حتى أتقن بعض الجسور. وفاض النيل من جهة قناطر الإوز فكتب لوالي الشرقية على أجنحة الحمام أن يقطع، اللؤلؤة فكثر تقطع الجسور وتعبت الولاة في سدها حتى تقطعت جميعها بالوجه القبلي والوجه البحري. وفسدت الأقصاب والنيلة والقلقاس وسائر الزراعات الصيفية والمخا زن" السلوك: ٣/ ٤٠٠.

[٦] في تلك السنة اضيف كشف الجسور إل ولاة الأقاليم. مما أثر بالسلب على الجسور. المقريزي: السلوك، جـ٣/ ٤٢٤.

[٧] ذكر المقريزي أن الزيادة بلغت عشرين ذراعاً و خمسة عشر أصبعاً (٢٠ ذراع و ١٥ أصبع) وهذا الذى أراه أقرب للواقع لأمرين، قرب المقريزي وقدمه عن ابن تغري بردي، الأمر الثاني فداحة الأمر تدلل على أن هذا فيضان بلغ فوق الثمانية عشر ذراعاً، فقد اتفقت المصادر عل أن ثمانية عشر ذرعاً هي الحد الأقصى لوفاء النيل كما تمت الإشارة إلية. السلوك، جـ٣/ ٤٠١.

اثر انحسار النيل عن المنطقة الواقعة فيما بين أرض اللوق وبستان الخشاب ( جاردن سيتي)[١] ومن ذلك ايضا انحسار النيل عن جانب المقس الغربي( شارع عماد الدين ومحطة مصر برمسيس الحالية) وترتب على هذا الانحسار استحداث في العمائر فيما بينها وبين أرض اللوق من ناحية وفيما بينها وبين جزيرة الفيل ( شبرا) من ناحية أخرى، وذلك في عصر الناصر محمد [٢]

وفي المقابل كان فيضان النيل نذير شر في العديد من الأحوال، وضره أكثر من نفعه، ففي سنة ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣م، فاض النيل وغرقت معه العديد من الأماكن كبستان الخشاب وغيره وكان هذا سبباً في بناء الجسر من بولاق إلى منية السيرج كما سبق.

نأتي إلى قضية أخرى الا وهي مسألة الأثر الاقتصادي للجسور والسدود.

**الأثر الاقتصادي للجسور والقناطر.**

مما لا شك فيه أن الجسور والقناطر والسدود وغيرها من المشروعات المائية، كانت متعددة الأغراض، متشعبة المنافع، لها العديد من الوظائف والمهام، فلم تكن مجرد قناطر، أو طرق للعبور فوقها، من اليمين إلى الشمال أو العكس، ولم تكن مجرد طرقا للسير وحسب، بل تعدته إلى مهام ووظائف أخرى.

فمن بين تلك الوظائف التحكم في المياه وقت الفيضان، حتى لا تغرق الأماكن المنخفضة، فيبدأ الري بالأماكن العالية أو ذات الربوة، ثم تليها الأرض المتوسطة، ثم المنخفضة، وقد رأينا كيف أدت مثلا قناطر مثل قناطر أبي المنّجا هذا الغرض .

ولعل من أشهر السلاطين رعاية لهذا الشأن في عصر سلاطين المماليك الناصر محمد الذى عني عناية، كبيرة بالجسور والقناطر.

وقد ذكر المقريزي نصاً يدلل على هذا يقول فيه:

" وكانت للسلطان عناية كبيرة ببلاد الجيزة وعمل على كل بلد بها جسرا أو قنطرة وكانت أكثر بلادها تشرق لعلوها فعمل جسر أم دينار في ارتفاع اثنتي عشرة قصبة أقام العمل فيه مدة شهرين فحبس الماء حتى رويت تلك الأراضي كلها وعم النفع بها. وقوي بسبب هذا الجسر الماء حتى حفر بحرا يتصل بالجيزة وخرج في أراضيها عدة مواضع زرعت بعدما كانت شاسعة أخذ منها قوصون وبشتاك وغيرهما عدة أراضي عمروها ووقفوها واستجد السلطان على بقيتها ثلاثمائة جندي. واستجدت في أيامه عدة أراضي بنواحي الشرقية وفوة وشباس أقطعت لعدة أجناد وعمل أيضا جسر شيبين فزاد بسببه خراج الشرقية. وعمل جسرا خارج القاهرة حتى رد النيل على منية الشيرج وغيرها وعمرت بسببه بساتين جزيرة الفيل وكثر عددها. وأحكم السلطان عامة أرض مصر قبليها وبحريها بالترع والجسور حتى أتقن أمرها"[١].

---

[١] الخطط: جـ٢/ ١٧٥.

[٢] الخطط : جـ٣/٣٢٥.

[١] السلوك: ٣/ ٣١٦.

ويستفاد من هذا النص ما يلي:

١- أن الناصر وغيره من المماليك لا سيما في عصر القوة، كانت لهم عناية بالغة بالمشروعات المائية، نظرا لمردود ونتائج تلك المشروعات الاقتصادي والعسكري كذلك، فتماسك الدولة وقوة اقتصادها لها علاقة طردية بقوتها العسكرية، وأمنها وسلامة اراضيها.

٢- أن تلك المشروعات كانت تبنى على خطط مدروسة، ورؤى مستقبلية، فالناصر شرع في انجاز تلك المشروعات لهذا السبب الذى ذكره المقريزي، ارتفاع الارض وعلوها، مما يعني عدم سهولة وصول الماء إليها، فمن ثم شرع في عمل الجسر في نقطة محددة، بينها مجموعة من كبار المهندسين والخبراء، بنسب خاصة.

٣- زيادة الرقعة المزروعة بسبب تلك المشروعات، وذلك من خلال ايصال الماء لأكبر قدر ممكن من الأرض، فذكر استحداث اراضي جديدة مثل بستان الفاضل، واراضي في الجيزة وفوة والشرقية وغيرها

ومن ذلك ايضا في عام ٧٤٠ هـ/ ١٣٣٩م، زاد الماء وفاض حتى قوي على جسر شيبين القصر الذى أعده الناصر محمد، وصارت الأرضي المنخفضة عبارة عن قيعان لشدة الماء، فرأي السلطان بعد مشورة المهندسين عمل حاجز (زريبة) لرد الماء عن الجسر وحمايته، ومن ثم اعادة التحكم في منسوب الماء، ورويت أرض كثيرة، لم تكن تروى إلا في حال زيادة النيل [١]

اضف لهذا أن تلك الجسور كانت بمثابة معابر، كما بينا مثلا في جسر أبى المنجا الذى حل مشكلة كبيرة، ومنع تكدس المارة وازدحامهم، فسهل بهذا العمل حركة السير بشكل كبير.

لدينا كذلك الجسر من قليوب لدمياط، ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م، له غرض عسكري، واخر مدني، متعلق بالري، وضبط ماء النيل، حال الفيضان والانحسار، بالإضافة لتيسير حركة المرور من العاصمة إلى أحد أهم الثغور الساحلية، وقد وصفه المقريزي وغيره، وأشرت لهذا الوصف سلفاً، ومشى عليه ستة رؤوس من الخيل صفا واحدا، فعمّ النفع به وسلك عليه المسافرون بعد ما كان يتعذر السلوك أيام النيل، لعموم الماء الأراضي [٢]

الملخص:

وحتى يتضح الأمر أكثر، فإن العملية الحضارية منظومة، ومعادلة حسابية، مرتبطة بمجموعة من المدخلات، أهمها العوامل الاقتصادية، وبما أن مصر بلد يعتمد في الاساس على الزراعة منذ اقدم العصور، والزراعة تعتمد على النيل، فكان لا بد من تنظيم تلك العلاقة، ما بين النيل كعنصر فاعل ورئيس في العملية الاقتصادية في حركة البناء الحضاري في الحياة المصرية، وبين الأرض المزروعة، والمحاصيل، ومن ثم يأتي دور الصناعة والتجارة.

ويتسأل المرء أحيانا ما هي الشواهد والأدلة التي تبين قوة هذا العصر، فقد يتهم المرء بالتحيز أو الهوى لعصر دون أخر، ولعل الفيصل في هذا الأمر، الشواهد الحضارية والمادية، وهي متعددة، منها: ما سطرته يد المؤرخين من المعاصرين واللاحقين، ومنها ما خلفه هؤلاء السلاطين من عمائر ومنشآت، غاية في الدقة

---

[١] المقريزي: السلوك، جـ٣/٢٨٠.

[٢] المقريزي: الخطط، جـ٣/٣٠١. السلوك: جـ٢/٤٢٦.

والاتقان، وآية في الجمال والكمال، منها المدني كبقايا القصر الأبلق، وقصر بشتاك، وغيرهما، ومنها الديني كالمساجد وهو عديدة منذ عصر الظاهر بيبرس وحتى خاير بك أخر حبة في عقد سلاطين المماليك، ومنها العسكري مثل منشآت قلعة الجبل، وقلعة قايتباي، وبقايا سور القاهرة وأبوبها، ومنها التجاري كوكالة الغوري وغيرها، ومنها المائي كسور مجرى العيون أحد أهم المشروعات المائية.

وما كان لسلاطين المماليك أن يستطيعوا تنفيذ هذا الكم الهائل والضخم، والمتقن إلا من خلال الثروات التي كانت تحت ايديهم، وما كان لتلك الثروات أن يجمعوها دون مشاريع اقتصادية عملاقة، وضخمة تدر علي الدولة الخير الوفير، ومن بين تلك المشروعات، هذه المنشآت المائية سالفة الذكر، التي أثرت بلا شك على الزراعة في المقام الأول، ومن ثم الصناعة، والتجارة، فانتعشت خزانة الدولة، وكثرت مشاريعها الحضارية الضخمة ، والعلمية الجبارة، واهتم السلاطين بالحركة الفكرية، والثقافية، ولعل خير شاهد علي هذا، ما ذكره أهل التاريخ، عن العديد من المنشآت وضخامة الأموال الموقوفة عليها، وتنظيم دروس العلم، والاهتمام بالعلماء وارباب الفكر والثقافة، فراينا كبار المؤرخين وشيوخهم، ورأينا العلماء الموسوعيين في ظاهرة فريدة لم تتكرر كثيراً إلا في نماذج فريدة، منها دولة سلاطين المماليك.

نعم لم تكن فترات الدولة على وتيرة واحدة، وتغيرت من سلطان لأخر، حتى دب الضعف في أوصالها، فخربت من بعد عمار، وبليت من بعد بهاء، وصارت دربا من الماضي، فتلك سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً.

**الخاتمة والتوصيات:**

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وبعد؛

مما لا شك فيه أن دولة المماليك واحدة من أهم الدول التي حكمت مصر منذ الفتح الإسلامي لها على يد سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه، فهي الفتية القوية، جاءت في ظرف تاريخي من أحلك الظروف التي مرت علي العالم الإسلامي كله، فقدر الله لها أن تكون البطل والمنقذ، وأن تنقل دار الخلافة من بغداد إلى القاهرة، على يديها.

ودولة بتلك الشخصية، ولدت قوية، ابيه شامخة، محبة للفن والعلوم، والفكر والثقافة، ترفع شأن العلم وتقدر لغة القرآن بالرّغم من كونها غير عربية!! كان لا بد لها أن تأخذ بأسباب القوة والتفوق، حتى تظل متربعة على الساحة، متسيدة لمن سواها، قادرة علي مجابهة الاخطار، التي قُدر لها أن تواجهها سواء كانوا صليبين أم تتار .

ومن أجل هذا كله فطن سلاطينها، سيما النجوم منهم إلى ضرورة التسلح بكل اساليب القوة، ولعل أقوى سلاح، وهو الرئيس في معركة البقاء، الاقتصاد، فعملت جاهدة على دعم الاقتصاد، وتقوية اركانه، بكل السبل، ومن بين تلك الاساليب التي اتبعتها، والمشروعات التي نفذتها المشروعات المائية، لما لا والماء أصل الحياة، وسر البقاء، والنماء!!

فجاء اهتمامهم بداية، بالنيل وما حوله، فعملوا على تحسين مقياس النيل والاهتمام بأمره، وأمر من يتولاه، لأول مرة في تاريخ مصر، وجعلوا على رأسه جهازاً كاملاً يترأسه موظفاً مرموقا يعرف بمتولي المقياس، له العديد من الصلاحيات، وتحت يديه مجموعة من الموظفين.

كما اهتموا بأمر القناطر والجسور على الخلجان وعلى غيرها، في مصر القاهرة، وفي الاقاليم، لضبط ماء النيل، ومحاولة الافادة منه قدر الإمكان، وجعلوا لتلك الجسور والمشروعات، جهازاً يختص بها ، وينظم شئونها، من مهندسين وخوله، وعمال وفعلة، ومشدين، وكشاف وغيرها من المهن التي تدلل على مدى اهتمام المماليك بتلك القضية المفصلية.

ولعل من أهم الدوافع علي الاهتمام بالمشاريع المائية، هو رغبة سلاطين المماليك، في تحسين أوضاع البلاد الاقتصادية، لتحسين أحوالهم الشخصية، وكذا الظهور دوما بمظهر القوة والبأس والشدة، اضف لذلك تنافس السلاطين والأمراء، ورغبة كل منهم في كتابة اسمه بحروف من نور في سجل تاريخ وحضارة مصر المحروسة، ولقد رأينا كيف عبر المقريزي عن هذا صراحة، في معرض حديثه عن الناصر محمد بن قلاوون، ورأينا تعاقب السلاطين والأمراء، على المشاريع العملاقة، منها مثلا: قلعة الجبل إحدى أهم القلاع والعمائر في العالم الإسلامي، إذا يتعذر على المنصف أن يذكر هذا العمل الضخم إلى شخص بعينه، نظرا لتراكم العمائر فيها بداية من صلاح الدين الأيوبي انتهاء بأسرة محمد علي باشا !!

ولعل من أهم المشروعات التي نالت اهتمام السلاطين سقاية فم الخليج أو سور مجري العيون كما هو مشتهر، هذا المشروع الضخم، الذي بدأ مع بناء القلعة في عصر صلاح الدين، علي يد الوزير بهاء الدين قراقوش، مروراً بالكامل محمد، ثم الصالح نجم الدين أيوب، فسلاطين دولة المماليك بدءً من الظاهر بيبرس، مرورا

بالناصر محمد وخلفائه في عصر سلاطين المماليك البحرية، ثم قايتباي صاحب الاصلاحات الكبيرة في السور، ثم الغوري الذي غير مجري السور تماماً بالصورة التي عليه الآن.

ولعل من نافلة القول: إن المماليك لم تكن تتوفر لهم تلك الامكانات الهائلة، والأموال الطائلة، التي تشهد بها الأثار التي خلفوها، ما بقي منها ، وما ذكرته المصادر المعاصرة واللاحقة، إلا اذا كانت لديهم مصادر متعددة للدخل، ولم تكن تلك المصادر تدر عليهم تلك الأموال، من غير اهتمام وتجديد وابتكار وابداع.

التوصيات:

١- محاولة الافادة قدر المستطاع من تجارب الماضي باليات الحاضر، من ذلك مثلا محاولة الافادة من النهر من خلال استخدامها في النقل الداخلي من اسوان وحتى دمياط ورشيد، والتجارة الخارجية، مع الدول الواقعة علي حوض النيل.

٢- استغلال الترع والمجاري المائية المنبثقة عن النهر في نفس الغرض.

٣- ضرورة الاهتمام بعملية الري وتحسين المجاري المائية وتعميم فكرة الري المطور التي استخدمتها بعض المحافظات كمحافظة كفر الشيخ، هذا المشروع الذى وفر كثيراً، في الجهد وعمل على ترشيد الماء بشكل ملاحظ.

٤- طرح بدائل جديدة لنهر النيل، كمسألة نهر الكونغو، وتحلية ماء البحر الأحمر والمتوسط، مما يعمل علي زيادة حصة مصر من الماء ٥- تغليظ العقوبة علي كل المخالفات والتعديات على الأرض الزراعية والمجاري المائية بأي شكل من الأشكال.

٦- المحافظة على التراث بشتى الطرق، وسن قانون يعتبر كل ما مر عليه مائة عام ويحمل صبغة فنية أو جمالية، أو طراز معماري، تابع لوزارة الأثار بشكل مباشر ولا يحق التصرف فيه !

٧- محاولة الافادة من المشروعات المتبقية مثل: سور مجرى العيون [١]

هذا والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل .

---

[١] هناك العديد من المشروعات والدراسات التي تتبني تلك القضية الآن، وهناك توجه من الدولة لمحاولة الافادة من هذا المشروع التاريخي، بدأت خطواتها بنقل المدابغ من جوار السور، وعمل منطقة صناعية خاصة بها، والشروع في ترميم السور والافادة السياحية منه. للمزيد انظر. د/ السيد عبد الفتاح القصبي، إستعدال ميل ستة عقود وركائزها بسور مجري العيون الأثري، https://www.researchgate.net/publication/٢٧٩٢٠٤٠٣٩. د / حسام البرمبلي، مشروع ترميم وتوثيق سور مجري العيون، قسم العمارة بكلية الهندسة جامعة عين شمس، ٢٠٠٨م.

**ملاحق البحث**

قائمة بأشهر المنشآت المائية عصر سلاطين المماليك.

| اسم الأثر | التاريخ | | اسم المنشئ |
|---|---|---|---|
| مقياس النيل | ٢٤٧هـ/ ٨٦١م | ٧٩ | أسامة بن يزيد التنوخي ( تمت له العديد من الاصلاحات عصر المماليك، ولذا فهو من أهم المشروعات المائية في العصر المملوكي) |
| قناطر السباع | ٦٧٤هـ/ ١٢٥٧م | مندثر( موضعه ميدان السيدة زينب الحالي) | الظاهر بيبرس |
| قنطرة الاميرية | ٧٢٥ هـ/ ١٣٢٥م | مندثر | الناصر محمد بن قلاوون |
| قنطرة درب الجماميز | ٧٣٠ هـ/ ١٣٣٠م | دثرت في عام ١٨٩٧م قبالة شارع درب الجماميز | طقزدمر الكرماني الحموي |
| قنطرة آق سنقر | ٧٤٠ هـ/ ١٣٣٩م | مندثر مقابله لشارع سكة الحبانية | آق سنقر |
| قنطرة عمر شاه | ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤م | شارع بورسعيد مندثرة ردمت في سنة ١٨٩٨م | عمر شاه |
| سبيل الناصر محمد | ٧٢٦هـ ١٣٢٦م | بجوار مجموعة قلاوون بالنحاسين( ٥٦١) | الناصر محمد وهو أقدم سبيل باق في العالم |
| سبيل شيخو | ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م | باب الوزير (١٤٤) | شيخو العمري |
| سبيل اسنبغا | ٧٧٢/ ١٣٧٠م | درب سعادة تم الاعتداء عليه وتحويله لمحل تجاري ! | الأمير أحد مماليك الناصر محمد والأشرف شعبان |
| سبيل السلطان فرج | ٨١١/ ١٤٠٨م | شارع تحت الربع( أحمد ماهر) (٢٠٣) | الناصر فرج |
| سبيل ملحق بمدرسة القاضي عبد الباسط | ٨٢٣/١٤٢٠م | (٦٠) الخرنفش | القاضي عبد الباسط ناظر الخزانة عصر المؤيد شيخ |
| سبيل قايتباي (تأنبك) | ٨٨٥هـ/ ١٤٥١م | سويقة منعم الصليبة ( ٣٢٤) | الامير تأني بك ٩٠٥/ ١٤٥١م |
| سبيل الغوري | ٩٠٨هـ/١٥٠٤م | (٦٦) شارع الأزهر | السلطان الغوري |
| حمام بشتاك | ٧٤٢ / ١٣٤١م | شارع سوق السلاح (٢٤٤) | الأمير بشتاك الناصري |
| حمام المؤيد | ٨٢٣/١٤٢٠م | شارع المعز (٤١٠) | الملك المؤيد شيخ |

الصورة ١ و ٢ نقلا عن لجنة حفظ الأثار العربية لحمامي بشتاك والمؤيد شيخ، والصورة الثالثة صورة حديثه للحمام المؤيدي

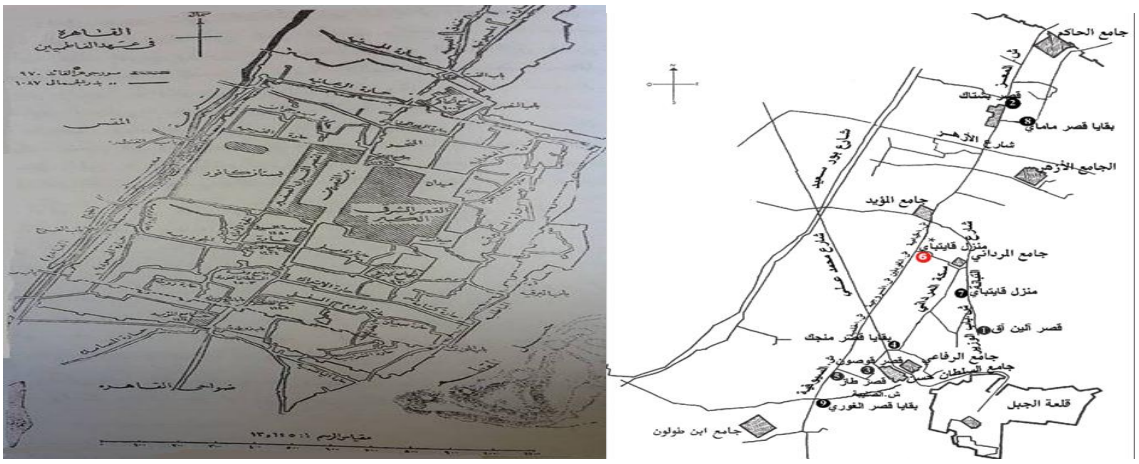


مواقع أشهر الأماكن للقاهرة وتطورها، وبيان أبوابها وأسوارها من العصر الفاطمي وحتى العصر المملوكي نقلا عن الشبكة العنكبوتية

صورة قديمة لسور مجري العيون وجزيرة الروضة على النيل مكان تربية المماليك البحرية ومقياس النيل

**قائمة المصادر والمراجع.**

أولا: القرآن الكريم .

ثانيا القواميس ومعاجم اللغة.

١- (أحمد رضا): معجم متن اللغة، ناشر: دار مكتبة الحياة – بيروت، ١٩٦٠م.

٢- (أحمد مختار وآخرون): معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٣- (جار الله الزمخشري)، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م): الفائق في غريب الحديث والأثر، المحقق: علي محمد البجاوي –محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة – لبنان، ط٢

٤- (الرازي)، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ/١٢٦٨م): مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٥- (الزبيدي): محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ/١٧٩١م): تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية

٦- (ابن سيده): المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، سنة النشر ٢٠٠٠م.المخصص، المحقق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م

٧- (الفارابي)، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٨- (الفراهيدي) ، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ/٧٨٦م): كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، وابراهيم السامرائي، مكتبة دار الهلال.

٩- (الفيروز آبادي) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ/١٤١٤م ): القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٠- (الهروي)، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ/٩٨٠م): تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

**ثالثا: المصادر.**

١- ( الإمام أحمد) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ/ ٨٥١م) : مسند الإمام أحمد، تحقيق - أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

٢- (ابن اياس)، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (٩٣٠هـ/ ١٥٢٢م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، فرانز شتاينر، ڤيسبادن، ١٩٧٥م، وطبعة دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة

٣- (البكري) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ): المسالك والممالك، الناشر: دار الغرب الإسلامي، عام النشر: ١٩٩٢ م.

٤- (ابن تغري بردي)، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٥- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تعليق محمد رمزي، طبعة دار الكتب المصرية، ط١.

٦- (ابن الجيعان) شرف الدين يحيى ابن المقر ابن الجيعان(٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م): التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاتحقيق:٤م.

٧- ( الجبرتي) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ (المتوفى: ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م): تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، ٢٠٠٣م.

٨- (ابن حجر)، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ): إنباء الغمر بأبناء العمر، المحقق: د حسن حبشي، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، عام النشر:١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

٩- (الحميري) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (المتوفى: ٩٠٠هـ): الروض المعطار في خبر الأقطار، إحسان عباس، الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – طبع على مطابع دار السراج الطبعة: الثانية، ١٩٨٠ م.

١٠- (الخطيب البغدادي) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ/١٠٧١م): المتفق والمفترق، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد صادق آيدن الحامدي، الناشر: دار القادري للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

١١- (ابن خلكان)، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر بيروت.

١٢- ( ابن خلدون) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): رحلة ابن خلدون، تحقيق، محمد بن تاويت الطَّنجي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٣- (السيوطي)، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى : ٩١١هـ/١٥٠٥م): حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر : دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، الطبعة : الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

١٤- (السبكي) تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١ هـ/١٣٦٩م): معيد النعم ومبيد النقم، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

١٥- (السخاوي)، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.

١٦- (ابن شاهين) خليل بن شاهين الظاهري، غرس الدين،: أمير، من المماليك (٨٧٣هـ/١٤٦٨م) زبدة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق، بولس روايس، المطبعة الجمهورية بباريس، ١٨٩٣م.

١٧- (ابن شاهين)، زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين الظاهريّ الملطى ثم القاهري الحنفيّ (المتوفى: ٩٢٠هـ/١٥١٧م): نيل الأمل في ذيل الدول، المحقق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

١٨- (أبو شامه) أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥ هـ/١٢٦٧م) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، المحقق: إبراهيم الزيبق، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م.

١٩- (الصفدي)، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ): أعيان العصر وأعوان النصر المحقق: الدكتور علي أبو زيد، الدكتور نبيل أبو عشمة، الدكتور محمد موعد، الدكتور محمود سالم محمد، قدم له: مازن عبد القادر المبارك، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

٢٠- الوافي بالوفيات، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٢١- (الطبري)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ/٩٢٢م): الرسل والملوك، الناشر: دار التراث – الطبعة: الثانية – ١٣٨٧ هـ.

٢٢- (ابن ظهيرة): محمد (جمال الدين) بن محمد (نور الدين) ابن أبي بكر بن علي، ت ( ٨٨٨ هـ /١٤٧٣م): الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق : مصطفى السقا، كامل المهندس، مطبعة دار الكتب، ١٩٦٩م.

٢٣- (عبد اللطيف البغدادي) بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي، موفق الدين، (المتوفى: ٦٢٩هـ): الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، مطبعة وادي النيل، الطبعة: الأولى، ١٢٨٦هـ/

٢٤- (ابن عبد الظاهر)، أبو الفضل عبد الله، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق أيمن فؤاد السيد، القاهرة: الدار العربية للكتاب، ١٩٩٦.

٢٥- (ابن العديم)، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (المتوفى: ٦٦٠هـ): بغية الطلب في تاريخ حلب، المحقق: د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر.

٢٦- (ابن عربشاه)، أبو محمد أحمد بن محمد ابن عربشاه ت( ٨٥٤ هـ/ ١٤٥٠م): عجائب المقدور في أخبار تيمور. طبعة كلكتا الهند، سنة ١٨١٧م.

٢٧- (ابن العماد)، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

٢٨- (ابن فضل الله العمري) أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (المتوفى: ٧٤٩هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٢٩- (الفاسي) تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي (المتوفى: ٨٣٢ هـ/ ١٤٢٩م): العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨ م.

٣٠- ( أبو الفداء) عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفى: ٧٣٢هـ): المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة: الأولى.

٣١- (القلقشندي): أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت

٣٢- (القزويني)، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى: ٦٨٢هـ): أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت

٣٣- (الكندي) أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المصري (المتوفى: بعد ٣٥٥هـ): كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣٤-(ابن مماتى) أسعد بن مهذب (الملقب بالخطير أبي سعيد) بن مينا بن زكريا، ابن مماتي : ( ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩م) قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطيه، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م

٣٥-(المقريزي)، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ/١٤٤١م): السلوك لمعرفة دول الملوك، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣٦- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار (الخطط المقريزية)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ٤١٨ هـ

٣٧ـ المقفى الكبير، المحقق: محمد اليعلاوي، الناشر: دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

٣٨- (المقدسي) أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري ت ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١/١٩٩١.م - ١٩٥٧ م.

٣٩-(ناصر خسرو) أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي (المتوفى: ٤٨١هـ/١٠٨٨م): سفر نامه، المحقق: د. يحيى الخشاب ، الناشر: دار الكتاب الجديد – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٣م.

٤٠- (ابن نباته) جمال الدين بن نباتة المصري الفاروقي (المتوفى: ٧٦٨ هـ/ ١٣٧٦م) : الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

٤١-(نشوان) بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الأرياني – د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٤٢- (النويري) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (المتوفى: ٨٢١هـ): نهاية الارب في فنون الأدب ، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٤٣-(ابن واصل) محمَّد بن سالم بن نصرالله بن سالم ابن واصل، أبو عبد الله المازني التميمي الحموي، جمال الدين (المتوفى: ٦٩٧هـ): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، مجموعة من المحققين، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية – المطبعة الأميرية، القاهرة – جمهورية مصر العربية، عام النشر: ١٣٧٧ هـ – ١٩٥٧ م.

٤٤- (ابن الوردي): عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (المتوفى: ٧٤٩هـ): تاريخ ابن الوردي، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٤٥-(اليعقوبي ) أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (المتوفى: بعد ٢٩٢هـ/٩٠٥م): البلدان، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ

٤٦-(ياقوت الحموي) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): – معجم البلدان، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.

٤٧- (اليافعي)، : أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (المتوفى: ٧٦٨هـ) : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق خليل المنصور، لناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٤٨- (اليونيني)، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني (المتوفى: ٧٢٦ هـ): ذيل مرآة الزمان، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م

**رابعا: المراجع.**

١- أحمد شوقي: الشوقيات ( ديوان أحمد شوقي) مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

٢- أحمد عبد الرازق، العمارة الإسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي، دار الفكر العربي، ٢٠١٢م.

٣- أحمد محمد البربري: عواصم مصر القديمة، كلية الآداب جامعة عين شمس. الاسكندرية.

٤- (الزركلي) خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ/١٩٥٠م): الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٥- سامي محمد نوار: المنشآت المائية بمصر منذ الفتح الإسلامي وحتى نهاية العصر المملوكي، دراسة أثرية معمارية، دار الوفاء الإسكندرية

٦- سيده إسماعيل كاشف: مصر في زمن الإخشيدين، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٠

٧- عاصم محمد رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط ١، ٢٠٠٠م، القاهرة

٨- عبد الرحمن زكي ، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، القاهرة: مكتب الأنجلو المصرية، .١٩٨٧

٩- عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م): معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م.

١٠- علي مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القديمة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ط١، المطابع الأميرية، ١٣٠٦هـ/،١٨٨٩م.

١١- علي جمعة محمد: المكاييل والموازين الشرعية، دار القدس، ط٣، ٢٠٠١م

١٢- قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، ط ١٩٧٨م
.١٣- محمد جمال الدين الفندي، النيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.
١٤- محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.
١٥- محمد كمال السيد: أسماء ومسميات من مصر القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
١٦- محمد الششتاوي، متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٩٩٩، ط١.
خامسا مراجع اجنبية مترجمة.
١- (اميل لودفيغ) : النيل حياة نهر، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي.
٢- (اميلينو): جغرافية مصر في العصر القبطي، ترجمة ميخائيل اسكندر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١٢م.
٣- جومار: وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، ترجمة أيمن فؤاد السيد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م
٤- رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م): تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م.
٥- علماء الحملة الفرنسية : موسوعة وصف مصر، ترجمة زهير الشايب، دار الشايب للنشر، ط ٣/ ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤م.
**الدوريات.**
١- لجنة حفظ الأثار العربية القديمة طبعة ديوان عموم الأوقاف المصرية، ١٣٠٨ هـ/ ١٨٩٠م
٢- حسام البرمبلي، مشروع ترميم وتوثيق سور مجري العيون، قسم العمارة بكلية الهندسة جامعة عين شمس، ٢٠٠٨م
٣- د/السيد عبد الفتاح القصبي، إستعدال ميل ستة عقود وركائزها بسور مجري العيون الأثري، https://www.researchgate.net/publication/٢٧٩٢٠٤٠٣٩